مارتين هايدغر

وآخرون

قريباً من هايدغر

ترجمة حسونة مصباحي



قريباً من هايدغر




مكتبة
الفكر الجديد

مارتين هايدغر
(وآخرون)

قريباً من هايدغر

اختيار وترجمة حسونة مصباحي





تم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة
المعرفة الفلسفية

الطبعة الأولى، 2018

صورة الغلاف
مارتين هايدغر

دار توبقال للنشر
عمارة معهد التسيير التطبيقي، ساحة محطة القطار
بلفيدر، الدار البيضاء 20300 - المغرب
الهاتف / الفاكس : 23 23 34 522 (212)
البريد الإلكتروني : contact@toubkal.ma
الموقع : www.toubkal.ma

الإيداع القانوني : 2017MO4575
ردمك : 978-9954-659-45-8
ردمد : 2028-3369



تقديم

كانت الفلسفة ولا تزال بالنسبة لي مصدراً أساسيّاً للمعرفة في مفهومها العميق، ووسيلة للكشف عن خفايا الإنسان وسرّ الوجود ومفهوم الزمن. هناك فلاسفة أعود إليهم دائماً وأبداً مثل فلاسفة الإغريق، وفلاسفة عصر الأنوار الفرنسيين، ونيتشه، وشوبنهاور، وكيركوغارد، وميشال فوكو...وهناك كتاب أعيد قراءته كل سنة، أعني بذلك المأدبة لأفلاطون. وكم تفتنني الروايات التي يعمل أصحابها على أن تكون عاكسة لأفكار وقضايا فلسفية. هذا ما فعله دوستويفكسي في جلّ أعماله، وتولستوي في الحرب والسلم، وتوماس مان في الجبل السحري، وروبرت موزيل في الرجل بلا مواصفات، وهرمان بروخ في السائرون نياماً، وفي موت فيرجيل. إلاّ أن هايدغر ظل بالنسبة لي، ولفترة طويلة، بمثابة القلعة الحصينة التي تأبى البوح بأسرارها وخفاياها.

ذات مرة، وأنا في ميونيخ حيث كنت أقيم، وقع بين يدي نصّ يتحدث فيه هايدغر عن أسباب رفضه الإقامة في المدن الكبيرة، مفضلاً العيش في عزلة في كوخ خشبي في قلب «الغابة السوداء» التي تجسد في نظره الروحَ الجوهريةَ لوجوده ولموطنه. ويتحدث في نص آخر عن الجولات التي يقوم بها في المسالك الريفية، وسط المروج والحقول، مفكّراً ومتأملاً، مشيراً إلى أن عمله كفيلسوف لا يختلف كثيراً عن عمل المزارع في حرث الأرض، أو في زرعها. بعدها قرأت النصوص التي خصَّصَها هايدغر لشعراء كبار من أمثال هولدرلين، ريلكه، وغيورغ تراكل. وقد ساعدتني هذه النصوص على إدراك البعض من



ملامح هايدغر وفلسفته الوجودية. كما أضاءت لي النصوص التي كتبها عنه هابرماس، وهانا آراندت، وغي باسيت جوانب أخرى تتناول صلة هايدغر بالنازية، ومفهومه للشعر، وعلاقته بفلاسفة الإغريق. أما الحوار الذي أجرته معه مجلة دير شبيغل، وبطلب منه، فلم ينشر إلاّ بعد وفاته. لم يقتصر هايدغر في هذا الحوار على توضيح مواقفه بشأن النازية، وإنما تعدى ذلك ليشمل ما يعيشه عالمنا من مخاطر ومخاوف في عصر هيمنة التقنية وسيطرتها على مفاصل حياتنا اليومية...

لذا ارتأيت جمع وترجمة هذه النصوص، بالإضافة إلى مختارات من الرسائل، لعل ذلك يساعد أحباء الفلسفة في عالمنا العربي على الاقتراب أكثر من صاحب الكينونة والزمن.



حياة في سطور

• ولد مارتين هايدغر في 26 أيلول ـ سبتمبر 1889 في بلدة «مسكيرش» Messkirch جنوب ألمانيا. كان أبوه رجل دين في كنيسة القديس مارتين. وكانت والدته يوهانّا كامف تنتمي إلى عائلة من المزارعين.

• في عام 1903، انتسب إلى المعهد الكلاسيكي Humanistisches Gymnasium في «كونستانس»، وفيه تعلم اللغة اليونانية القديمة تحت إشراف سيباستيان هاهن الذي قال عنه في ما بعد: «لم يكنْ هناك أحد يُضاهيه في اللغة اليونانيّة».

• في عام 1906 أنهى الثانوية وحصل على شهادة الباكلوريا. وإنطلاقاً مِن عام 1907 شرع في قراءة فرانز برانتانو Franz Brentano عن «المفهوم المتعدد للكائن عند أرسطو طاليس». وكانت تلك القراءة بداية لتساؤلات حول مفهوم الكينونة الذي لازمه طوال مسيرته الفلسفية.

• بين عامي 1909 و1911، دَرَسَ هايدغر في البداية في كلية اللاهوت، ثم في كلية العلوم. وفي هذه الفترة قرأ باسكال، وهيغل، ونيتشه، وشيلينغ، وهوسرل، ودستويفسكي، ورايناز ماريا ريلكه، وغيورغ تراكل. وظلّ هايدغر طوال حياته قارئاً نهماً للكتّاب الحديثين، ولكبار الكلاسيكيين الإغريق.

• في عام 1915 عُيّن أستاذاً مساعداً في جامعة فرايبورغ. وفي عام 1916 عيّن أستاذاً في نفس الجامعة، وتمت دعوته إلى الخدمة العسكرية لكن من دون أن ينقطع عن إلقاء محاضراته في الجامعة المذكورة.

• في عام 1917، تزوج من الفريده بتري التي كانت طالبة في نفس الجامعة



التي كان يدرّس فيها.

• في عام 1922 بنى بيته الريفي في «الغابة السوداء»، وفيه أنهى كتابه الشهير : الكينونة والزمن *Sein Und Zeit* وذلك عام 1926. وقد أهداه إلى إدموند هوسرل صاحب النزعة الظاهراتية.

• في عام 1923 عُيّن أستاذًا في جامعة ماربورغ التي كانت في تلك الفترة أهمّ مركز للكانطيّة الجديدة في أوروبا.

• في عام 1927، صدر كتاب الكينونة والزمن الذي «كشف عن العبقريّة الثوريّة للفيلسوف الشاب» الذي هو مارتين هايدغر. ومنذ ذلك الحين، تراجعت الكانطية الجديدة، وأصبحت الفينومنولوجيا (الظاهراتية) التيار الفلسفي الأقوى والأوسع انتشاراً في الأوساط الفلسفية في أوروبا.

• بين عامي 1927 و1928، ألقى هايدغر محاضرات حول كتاب كانط : «نقد العقل الخالص» : «إنّ الفلسفة لا تتطوّر من خلال التقدم والارتقاء، وإنما هي الجهد الذي يبذل من أجل بسط نفس العدد القليل من المسائل وتوضيحها. إنها - أي الفلسفة - النضال المستقل والحر والأساسي للوجود البشري ضدّ العتمة التي لا تكفّ البتة عن الانتشار في داخله. وكلّ توضيح لا يُحْدثُ شيئاً سوى فتح هوّات جديدة».

• في عام 1930، ألقى محاضرته الشهيرة : «جوهر الحقيقة» في كل من ماربورغ وفرايبورغ. وكانت هذه المحاضرة تعميقاً للأفكار التي وردت في الكينونة والزمن. وفي نفس هذه السنة، قرأ هايدغر كتاب : آلهة الإغريق لفالتر. ف. أوتّو الذي قدّم تاويلات وتفاسير تختلف جذريّاً عن التأويلات والتفاسير الميثولوجيّة القديمة.

• في عام 1933، عيّن هايدغر رئيساً لجامعة فرايبورغ. وفي عام 1934، استقال من هذا المنصب.

• بين عامي 1945 و 1935، ألقى محاضرته عن هولدرلين. كما ألقى محاضرته الشهيرة : «مدخل إلى الميتافيزيقا»، وأخرى عن «جوهر العمل الفني»، وحول نيتشه.



• في عام 1944، جُنّد هايدغر وتمّ إلحاقه بكتيبة عسكريّة كانت تقوم بأعمال تحصين على نهر «الرين». وفي نفس تلك الفترة، قام أخوه فريتز بإخفاء وثائقه الخاصة في مسقط رأسه «مسكيرش» خوفاً من قصف طائرات الحلفاء.

• في عام 1945 زار فريديريك توفارنكي هايدغر وقدم له نصوصاً لسارتر ومارلوبوانتي وجان بوفري. وعندعودته إلى فرنسا، سلّم سارتر رسالة من هايدغر يدعوه فيها لزيارته في تودنبارغ. إلاّ أنّ سارتر لم يتمكن من زيارته إلاّ عام 1952.

• في عام 1946، ألقى محاضرة بعنوان : «لماذا الشعراء ؟». وفي عام 1947 صدر كتابه : رسالة حول الإنسانوية، الموجهة إلى جان بوفري.

• في عام 1951، ألقى هايدغر محاضرات حول الموضوع : «ما معنى أن نفكّر ؟» وقد قال فيها :

1 : الفكر لا يأتي بالمعرفة مثل العلوم

2 : الفكر لا يأتي بالمعرفة العلميّة

3 : الفكر لا يمنحنا القدرة على الفعل مباشرة.

في عام 1953، ألقى محاضرة في ميونيخ حول التقنية.

• في عام 1955، قام بأول زيارة إلى فرنسا، وألقى محاضرة : «ما الفلسفة؟»: «إنّ الطريق الذي أريد أن أشير إليه الآن يوجد مباشرة أمامنا. ولأنه قريب منّا، فإننا نبذل جهداً كبيراً لكي نتمكن من اكتشافه. وحتى إذا ما نحن عثرنا عليه، فإننا لا نستطيع أن نسلكه من غير إسعاف أو مَعُونة».

وخلال زيارته إلى فرنسا، زار هايدغر متحف «اللوفر»، وقصر «فارساي» برفقة زوجته. كما التقى بالشاعر روني شار وبالرسام جورج براك. وفي عام 1958، زار فرنسا مرة أخرى، وألقى في جامعة «آكس أونبروفانس» محاضرة بعنوان : «هيغل والإغريق».

• في عام 1959، حمل هايدغر لقب : «مواطن شرفي» لمسقط رأسه «ماسكيرش».

• وفي السابع والعشرين من شهر مايو ـ أيّار 1976، توفي في فرايبورغ. وقد



رثاه الشاعر الفرنسي رينيه شار بقصيدة يقول فيها : «مات هايدغر هذا الصباح. الشمس التي أنامته تركت له أدواته ولم تحتفظ إلاّ بالعمل. هذه العتمة دائمة. والليل الذي انفتح يخيّر أن يحبّ».

دفن هايدغر في مسقط رأسه، وعلى قبره كتب : «السيْر باتجاه النجمة ولا شيء إلاّ ذاك».



مارتين هايدْغَر

وحدَها الغابةُ السوداءُ تلْهمُني

في شهرأيلول – سبتمبر 1933، تلقى مارتين هايدغر، الذي كان قد عيّن آنذاك عميداً لجامعة فرايبورغ، وللمرة الثانية، إقتراحاً بتعيينه أستاذ كرسيّ للفلسفة في جامعة برلين. وهذا النص يتضمن تفسيرَ رفضه للمنصب المذكور. فيه نجد وصفاً دقيقاً وشاعريّاً للبيت الريفي الذي إعتاد الاشتغال والتفكير فيه، وأيضا لوادي «تودناو» القريب من «فالدبارغ»، أعلى قمّة في «الغابة السوداء». وفي النص صدى لجوانب من حياة هايدغر، ولدعوته الدائمة للتجذّر في الأرض، وفي عالم الفلاحين...

على المنحدر الوعر لواد عال وكبير، هناك جنوب «الغابة السوداء»، على ارتفاع 1150 متراً، بيت ريفي صغير (6 على 7 أمتار)، يغطي سقفه الواطئ ثلاث غرف : المطبخ، وغرفة مُستعملة كمكتب للعمل. في العمق الضيّق للوادي، على المنحدر المواجه، الوعر أيضاً، تنتشر بكثرة الضيعات ذات السقوف الكبيرة المائلة. على طول المنحدر، تصعد حقول الرعي حتى غابة التنّوب الشّامخ والدّاكن. فوق كلّ هذا المنظر، تمتدّ سماء صيفيّة صافية، وفي فضائها المشعّ يرتفع صقْران يرسمان دوائر واسعة. هذا عالم عملي كما تراه عيْنا المصطاف والضيف العابر العاشق الحقيقي للكلمة. أحسّ بتحولاته من ساعة إلى أخرى، ومن النهار إلى الليل، خلال تعاقب الفصول. إنّ ثقل الجبال، وصلابة صخورها القديمة، والنموّ المحترس لأشجار التنوب، والبهاء المضيء للحقول المُزْهرة،

وهمْس السيول في ليل الخريف الطويل، وأيضاً البساطة الصّارمة للمساحات المغطّاة بثلوج كثيفة، تتسرّب كلّها إلى الحياة اليوميّة هناك في الأعالي، وفيها تتجمّع وتتراكم وتتموّج. ليس في اللحظات التي نريدها أن تكون لحظات انغماس في المتعة، ولحظات تحقيق الذاتيّة المصطنعة، وإنما فقط حين يكون وجودي في حالة تأدية عمله. العمل وحده يفتح الفضاء لواقع الجبل هذا. وسيْره يظلّ مُنْتظماً في تحوّلات المشهد الطبيعي.

لا يتمّ العمل الفلسفيّ بعيداً كما لو أنه فريد من نوعه. إنّ مكانه يوجد وسط عمل الفلاحين. عندما يجرّ المزارع الشابّ المزلاجَ الثقيل المُحَمّل بحطب أشجار الزّان على طول المنحدر الوعر والخطر باتجاه ضيعته، وعندما يمضي الراعي بخُطى حالمة وبطيئة باتجاه القمّة، وعندما يجمع الفلاح في غرفته القدّات الكثيرة الصالحة للسقف، فإنّ هذا العمل يكون من نفس صنف العمل الفلسفي. والانتساب الفوريّ لعالم الفلاحين يجد هنا جذوره. ساكن المدينة يعتقد أنه «يختلط بالشعب» كلّما تنازل عن كبرايئه، وتحاور مع أحد المزارعين. أمّا أنا ففي المساء، وقت الاستراحة، أجلس مع الفلاحين على مقعد أمام المدفأة، أو حول طاولة، هناك في «ركن الرحمان» Herrgottswinkel. وغالب الأحيان لا أتحدث معهم إطلاقاً. هم أيضاً لا يتحدثون معي. في صمت، ندخّن الغليون. وربما من حين إلى حين، تسقط منّا كلمة لنقول مثلاً إن قطْعَ الخشب في الغابات اقترب من نهايته، وإن السّمور في الليلة السابقة داهم قنّ الدجاج، وأتلف الكثير منه، وإنه من المحتمل أن تلد البقرة غداً، أو إنّ أحد الجيران أصيب بمرض ما. إنّ انتساب عملي الحميم إلى «الغابة السوداء» وللناس الذين يعيشون فيها له جذور عميقة، ولا شيء يعوّضه في المُزْدَرَع الشوابي، والألماني السويسري.

ساكن المدينة ينتعش في أكثر تقدير عندما يُدْعَى للإقامة في الريف. أمّا بالنسبة لي، فإن عملي هو الموجَّه من طرف هذا العالم من الجبال والمزارعين. و يتوقّف الآن عملي هذا من حين إلى آخر على مدى أوقات طويلة تخصّص للتحاور والتنقل للقيام بمحاضرات والمشاركة في مناقشات، أو للتدريس هناك عند سفح الجبل [يقصد فرايبورغ]. لكن حالما أصعدإلى أعلى، ومنذ الساعات



الأولى لوصولي إلى البيت، يداهمني عالم الأسئلة القديمة. يتمّ هذا بنفس الشكل الذي تركتها عليه. وبكلّ بساطة أجد نفسي مَحْمُولاً بالنغّم الخاص للعمل، ولست أبداً سيّداً لقانونه الخفيّ. المدينيّون (سكّان المدن) يندهشون أحياناً لعزلتي الطويلة الرتيبة في الجبال، بين المزارعين. إلاّ أنّ ما أعيشه ليس العزلة، وإنما الوحدة. في المدن الكبيرة، بإمكان الإنسان أن يكون منعزلاً وبسهولة متناهية أكثر ممّا في أيّ مكان آخر، إلاّ أنه لا يستطيع البتة أن يكون وحيداً. ذلك أن للوحدة نفوذاً متميّزاً تماماً في ألاّ «تعزلنا». بل بالعكس، هي تلقي بحياتنا بجوار كلّ الأشياء. هناك،أي في المدن، بإمكاننا أن نحصل على الشهرة السريعة من خلال الصحف والمجلات. وهذا هو الطريق المؤكد للسقوط السريع في هاوية النسيان.

خلافاً لهذا، نحن نجد ذاكرة الفلاحين تتمتع بوفاء بسيط ودونما ضعف. ماتت أخيراً فلاحة عجوز هناك في الأعالي. كانت أحياناً تتحدث معي. خلال حديثها معي، كانت تبرز الحكايات القديمة للقرية من جديد. وقد حافظت في لغتها القويّة والموحية على كلمات قديمة، وعلى أقوال مأثورة كثيرة فُقدت في اللغة الجديدة، بحيث لم يعد بإمكان شباب اليوم إدراك معانيها. في السنة الماضية، وكنت قد قضيت أسابيع بأكملها وحيداً في البيت، صعدتْ تلك العجوز البالغة من العمر 83 عاماً هذا المنحدر الوعر لمقابلتي. قالت إنها تريد أن تتحقّق من أنني لا زلت موجوداً، وأن اللصوص لم يأتوا ليسرقوا بيتي في غفلة مني. وقد أمضتْ ليلة موتها في نقاش مع أفراد عائلتها. قبل نصف ساعة فقط من رحيلها إلى العالم الآخر، كلفتهم بإبلاغ تحياتها إلى «الأستاذ». ذاكرة كهذه هي في رأيي أكثر قيمة من «روبورتاج» حتى ولو كان جيّداً، وفي صحيفة مشهورة عالميّاً، حول فلسفتي المزعومة.

إن العالم المديني (نسبة إلى المدينة) مهدّد بخطر كبير، خطر أن يصبح فريسة البدع القاتلة. وثمّة تعجّل مزعج، وصاخب، ونشط جداً يبدو أحياناً غير مبال إطلاقاً بعالم الفلاحين، وبطريقة حياتهم. وبذلك يتمّ بالتحديد نفي ما هو الآن وحيد وضروري، أي أن نظلّ على مسافة من نمط عالم الفلاحين، ونهمله



أكثر من أيّ وقت مضى لقانونه الخاص، ونخشى ملامسَتَه لكي لا نُعرّضه للعنف، وذلك بعرضه على الثرثرة الكاذبة لأصحاب الأدب حول ما يكوّن الكيان الخاص للشعب، ولانتمائه إلى مُزْدَرَع ما. لا يرغب الفلاح إطلاقاً في تعجل المدينيين هذا، وليس بحاجة إليه. إلاّ أنّ ما يريده، ومايرغب فيه، هو رقّة محتشمة تجاه كيانه الخاص، وتجاه ما هو على علاقة به. لكن هناك كثيرين بين القادمين من المدن، الذين يأتون في زيارات عابرة - ابتداء بهُواة التزحلق على الثلج - يتصرفون اليوم في القرية، أو في الضيعة، كما لو أنهم «يتسلّون» في أماكن اللهو الموجودة في مدنهم الكبيرة. مثل هذا السلوك يقتل في ليلة واحدة ما تعجز عن تنفيذه عشراتُ السنين من التدريس العلمي حول مُكوّنات شعب ما، وحول التقاليد الشعبيّة.

لندعْ جانباً كلّ أُلفة متسامحة، وكلّ مصلحة غير حقيقية مع الشعب. لنتعلم احترام الحياة الصعبة والبسيطة هناك في الأعالي، و معاملتها بجدّية ورصانة.

أخيراً عرضت عليّ جامعة برلين كرسيّ الفلسفة. لهذا السبب أغادر المدينة، وآوي إلى بيتي الريفي، وأسمع ما تقوله الجبال والغابات والضيعات. في الآن نفسه، أزور صديقي القديم، وهو فلاح في الخامسة والسبعين من عمره. وقد قرأ العرض في الصحف. ماذا تراه يقول ؟ يحدّق ببطء بنظراته الجريئة المنبثقة من عينيه الصافتين في عينيّ، ويظلّ محافظاً على فمه مطبقاً، ثم يضع برصانة يده الوفيّة على كتفي، ويحرك رأسه بشكل خفيّ. وهذا يعني : لا، لا قاطعة !



مارتين هايدغر

المَسْلَك الرّيفيّ

يخرج من باب الحديقة لكي يصل إلى المروج المبللة للـ«إيهن». حول القصر، تنظر إليه أشجارُ الزيزفون العجائزُ من فوق الجدران وهو يبتعد - سواء لمع القصر عند اقتراب عيد الفصح، واضحاً بين سنابل القمح وهي ترتفع، وبين والمروج المُتَيقّظة، أو اختفى في عيد الميلاد خلف الهضبة الأقرب تحت زوبعة ثلج. بعد الصليب، يستدير باتجاه الغابة. عند حافتها، يحيّي عند مُروره شجرة بلّوط كبيرة تحمي تحت أغصانها مقعداً رُبّع من دون إتقان.

هنا كانت تتواصل أحياناً هذه أو تلك من كتابات كبار المفكرين كانت بلاهة شابة تجهد نفسها لفكّ رموزها. وعندما تصبح الرموز كثيفة، ولا يبين أيُّ مخرج، كان الطريق يهبّ لمساعدته. إذ أنه من دون أن ينطق بكلمة واحدة، يقود الخطوة على منعرجاته عبر اتساع يمتدّ لهذا البلد الشحيح.

في استئناف ذلك دائماً، تتقدم الفكرة في هذا الوقت في قراءة نفس الكتابات، وفي المحاولات التي هي محاولاتها، على نفس المَسَار الذي يرسمه المسلك الريفي عبر البلاد. وهو لا ينقطع، على وقع خطى من يفكر، عن أن تكون خطاه قريبة أكثر ممّا يمكن من خطى الفلاّح الذي يمضي للحشّ في الصباح الباكر.

وكلّما تقدمت السنوات، غالباً ما تعيد شجرة البلوط إلى الذاكرة ألعاب الطفولة والاختيارات الأولى. وعندما تسقط شجرة بلّوط أحياناً تحت ضربات



فأس، ينطلق الأب في الحين، مُجتازاً الغابات والفرجات المضاءة بالشمس، بحثاً عن الستير الذي هو من أدوات محترفه. هناك ينصرف إلى عمله بتركيز في الفرجات بين الخدمة التي يقوم بها في الساعة الكبيرة للبرج، والخدمة في النواقيس، ولكلّ واحدة منهما علاقة بالزمن وبالساعات.

من لحاء شجرة البلّوط، يصنع الأطفال مراكبهم، مجهّزة بمقاعد المجدّفين، وبالدفّات، تندفع على سطح «ماتينباخ» أو على سطح مسبح المدرسة. في هذه الألعاب، كل الرحلات البحرية تصل من دون عناء إلى الميناء، وتبلغ الضفة. روعة مثل هذه الرحلات تظلّ في مأمن في حمى ضوء بالكاد لا يزال مرئيّا مستريحاً على كل شيء. مرماها لا يتعدّى مرمى نظرة أوْ يد أمّ. فكما لو أنّ اعتناء خفيّاً يحرص على أن يكون كل شيء في حمايته. وهذه الرحلات التي لا قصد منها إلاّ الضحك تجهل كل ما يتّصل بتلك الرحلات الإستكشافية التي تظل فيها الضفاف تتباعد دائماً. مع ذلك تشرع صلابة الخشب ورائحته في التحدث بصوت أقل التقاطاً من البطء والمثابرة اللذين يَسِمَان نموّ الشجرة. شجرة البلّوط نفسها تقول بإن نموّاً كهذا هو الوحيد الذي له سلطة تأسيس ما يبقى ويثمر، وأن النمو يعني : الانفتاح على اتساع السماء، وفي نفس الوقت التجذّر في عتمة الأرض. كما يعني أن كلّ ما يكون له قدوم جميل لا يبلغ الاكتمال إلاّ عندما يكون الإنسان مُتهيئاً أيضاً إلى نداء الأعالي ومقبولاً في حماية الأرض التي تمنحه موطناً.

من دون انقطاع تردّد ذلك شجرة البلوط في الطريق الذي متأكداً من اتجاهه، يمضي أمامه. كل ما حوله وله كيانه، يجمعه الطريق، ولكل واحد من الذين يتبعونه يمنح ما يعود له. نفس الأراضي المحروثة، ونفس المروج الهابطة ترافقه في كلّ الفصول بجوار مختلف دائماً. أن تنمحي سلسلة جبال الألب في المساء عند الغروب، وأن ترتفع القبّرة في صباح الضيف هناك حيث يجتاز الطريقُ مكّورَ التلال، أن تندفع الريح من الصقع حيث يوجد مسقط رأس الأم، أن يجرّ حطّاب في الليل الهابط حزمته نحو المدفأة، أن تتمايل عربة حصّادين عند العودة في أخاديد الطريق، أن يقطف الأطفال أزهار الربيع عند حافّة مرْج، أن



يثقل الضباب طوال النهار البلاد بكتلته الكثيفة ـ دائماً من كلّ النواحي، حول الطريق نداء الشيء ذاته : البسيط يحتفظ بسرّ كلّ ثبات وكلّ عظمة.

بغتة يدخل هذا البسيط إلى الناس، مع ذلك لا بدّ له من وقت طويل لكي ينمو. وهو يحمي غفرانه في عدم ظهور ما هو نفسه دائماً. اتساع كلّ الأشياء التي اكتملت موقعها حول الطريق، هو الذي يجزل عطاء العالم. في كلماته التي لا تقول كلمة واحدة - هكذا يعلمنا أيكارت، المعلم العجوز لقراءة الحياة - الله هو هنا الله قبل كل شيء.

إلاّ أنّ موعظة الطريق لا تنطق إلاّ بمقدار ما يحتفظ الناس الذين ولدوا في الفضاء الذي يحيط به، بالقدرة على سماعها. وهؤلاء الناس يظلون في خدمة جذورهم عوض أن تسْتعبدهم هيمنة المصطنع. من دون جدوى يسعى الإنسان إلى أن يقلّص الكون إلى مخططاته إذا لم يستجب هو نفسه لنداء الطريق. الخطر يهدّد بأن يظل أناس اليوم صُمّاً أمام ما يقوله. وحده يصل إليهم ضجيج الآلات التي يكادون يضعونها في نفس مرتبة صوت الله. وهكذا يتشتّت الإنسان ويفقد الطريق. والذي يتشتّت يبدو له البسيط رتيباً. والرتابة تنفّر. والضجرون لن يروْا في كلّ ما حولهم سوى لغو تبسيطي. البسيط فرّ. قوّته الصامتة انتفت.

بالتأكيد، يتقلّص بسرعة عددُ الذين لا يزالون يرون البسيط كما لو أنه ملْكيّة عرفوا كيف يحصلون عليها. لكن هؤلاء القليلين جدّاً هم الذين يبقون في كلّ مكان. وسيعرفون ذات يوم بفضل بأس الطريق الناعم، كيف يحافظون عل حياتهم أمام القوى الهائلة للطاقة النووية التي استحوذت عليها حيلة الحساب البشري لكي تُلْجم كلّ ما يقدر الإنسان وحده على فعله.

كلمة الطريق توقظ معنى يحترم الفضاء الحر ويعزّه، وفي لحظتها المتاحة، تعرف ولو بقفزة واحدة كيف تذهب أبعد من الحزن والأسى - لتبلغ أخيراً ابتسامة الصفاء والهدوء. وهي تحمي من فظاعة العمل من أجل العمل، التي بانشغالها الدائم بذلك، تضيف فراغاً إلى فراغ.

في هواء الطريق، في تحولاته بحسب أهواء الفصول، تنمو البهجة التي،



تدرك من الذي يبدو أحيانا مُثقل القلب. هذه المعرفة المرحة هي دُعَابتنا. ولن يكتسبها إلاّ من كان قد اكتسبها من قبل. والذين اكتسبوها اجترحوها من البلاد ومن الطريق. في مساره، يلتقي يوم الحصاد بزوبعة الشتاء، وخضرة الربيع المتأصلة والسقوط الهادئ للخريف يذهب كلّ واحد منها إلى الآخر، وبهجة الشباب وحكمة الشيوخ يتبادلان النظرة. لكن كلّ شيء يسكُن ويهدأ في وفاق أوحد، والطريق يحمل صداه معه في غدوّه ورواحه الصامت.

البهجة الصافية والرائقة، تلك التي تعرف، بابٌ يفتح على ما هو أبديّ. مصراعاه يدوران على محاور كان حدّادٌ ماهرٌ قد صنعها من ألغاز الوجود.

من مروج الـ«إيهن» المبللة، يعود الطريق إلى باب الحديقة. بعد الهضبة الأخيرة، يجتاز شريطه الضيّق مستوى أدنى ويصل إلى الأسوار. أصمُّ ضوؤه في التماعات النجوم. خلف القصر ينتصب برج كنيسة «سان - مارتين». ببطء، كأنها مترددة، تنقضي الدقّات الإحدى عشرة في الليل. الناقوس العجوز الذي أحرقت حباله أصابعَ أطفال كثيرين، يرنّ تحت ضربات المصراع المتقن الصنع. - لا أحد منهم نسيَ هيئته العبوسة والمضحكة في نفس الوقت.

مع الدقّة الحادية عشرة، يصبح الصمت أكثر صمتاً. وهو يصل ويمتدّ حتى إلى الذين استشهدوا قبل الأوان خلال الحربين الكوْنيتين. البسيط ازداد بساطة. والذي ظل دائماً نفسه ينفذ ويحيّر. نداء الطريق هو الآن واضح. هل هي الروح التي تتكلم ؟ هل هو العالم ؟ هل هو الله ؟

كلّ شيء يتحدّث عن الزهد الذي يمضي باتجاه الشيء ذاته. الزهد لا يأخذ. الزهد يمنح. يمنح قوةَ البسيط التي لا تنضب. والنداء يعيدنا إلى أنفسنا عبر منشأ طويل.



مجلة دير شَبيِّغَل حوَار

حوَار : مع هايْدغَر

(أسئلةٌ وأجوبةٌ حولَ السّياسة والفلسَفة والتاريخ)

تقديم : نشر هذا الحوار في الأسبوعية دير شبيغل واسعة الانتشار، في عددها الصادر بتاريخ 31 مايو – أيّار 1976، بعد أيّام قليلة من وفاة هايدغر، ومعه التوضيح التالي : «أرسل هايدغر في آذار– مارس 1966 رسالة إلى المجلة يردّ فيها على الذين اتهموه بأنه كان على صلة بالنازيّة في فترة صعودها. وكانت هذه الرسالة إشارة إلى أنه كان مُستعدّاً للإجابة عن الأسئلة المتعلقة بهذه القضيّة. وفي شهر أيلول – سبتمبر من العام المذكور، تمكن رودولف أغشتاين وغيورغ فولف من التحاور مع هايدغر الذي أوصى بعدم نشر الحوار إلاّ عقب وفاته قائلا: «المسألة لا تتعلق لا بكبرياء، ولا بعناد، وإنما بعملي هذا الذي أصبح مع مرور السنين أسهل، ويعني في المجال الفكري، أنه أصبح أكثر صعوبة». وهذا الحوار هوالوحيد الذي خصّصه هايدغر للصحافة.

دير شبيغل : أستاذ هايدغر... لقد لاحظنا أنّ ظلالاً خيّمت إلى حدّما على أعمالك الفلسفية بسبب أحداث في حياتك لم تدم طويلاً إلاّ أنّها لم توضّح بما فيه الكفاية...

هايدغر : تقصدون أحداث 1933...

دير شبيغل : نعم... قبل وبعد 1933... نحن نريد أن نضع هذه الأحداث



في إطار أشمل، ومنها ننطلق إلى أسئلة تبدو مهمّة، مثلاً : ما هي إمكانيّات الفلسفة للتأثير على الواقع، بما في ذلك الواقع السياسي ؟

هايدغر : إنها بالفعل أسئلة هامة، ولست أدري إنْ كان باستطاعتي الإجابة عليها. وقبل كلّ شيء، لا بدّ أن أقول إنه لم يكن لي أيّ شكل من أشكال النشاط سياسيّ قبل تعييني رئيساً للجامعة. وخلال شتاء 1932 وشتاء 1933 كنت في عطلة. وأغلب أوقاتي كنت أقضيها في بيتي الريفي في الجبل.

دير شبيغل : كيف استطعت إذن أن تصبح رئيساً لجامعة فرايبورغ ؟

هايدغر : خلال شهر كانون الأول - ديسمبر 1932، انتخب زميلي فون مولوندورف، وهو أستاذ مختصّ في علم التشريح، عميداً. وتاريخ بدء العمل في جامعتنا كان يوم 15 نيسان - أبريل. وخلال شتاء 1932 و1933 كنّا تحدثنا أحياناً عن الوضع السياسي، وخاصة عن وضع الجامعات، وأيضاً عن وضع الطلاّب الغامض. وكان رأيي كالآتي : بقدر إمكانيتي في معاينة الأشياء، أعتقد أنه ليس هناك سوى وسيلة وحيدة، وهي أن نحاول مع القوى البنّاءة التي لا تزال حيّة، المسْك بالتيّار الذي بدأ يبرز.

دير شبيغل : كنت إذن تلاحظ وجود علاقة بين وضع الجامعة الألمانيّة والوضع السياسي في ألمانيا بصفة عامة ؟

هايدغر : لقد تابعت بالتأكيد الأحداث بين يناير - جانفي ومارس - آذار 1933، وحدث أن تحدثت في شأنها مع زملاء أصغر منّي سنّاً. لكن عملي كان مُخصّصاً في ذلك الوقت لفكر ما قبل السقراطية. وقد عدتُ إلى فرايبورغ في بداية الصيف. قبل ذلك الوقت، كان الأستاذ فون مولوندورف قد بدأ عمله كعميد يوم 17 نيسان - أبريل. وبعد مرور أسبوعين فقط على ذلك، أقيل من منصبه بقرار من وزير التربية في مقاطعة بادن بادن. ربما وجد الوزير في قرار رئيس الجامعة بعدم تعليق ما سُمّي في ذلك الوقت، بـ«المنشور الخاص باليهود»، الفرصة المرتجاة لتلك الإقالة.

دير شبيغل : السيد فون مولوندورف كان اشتراكيّاً ديمقراطيّاً. ماذا فعل عقب هذا القرار ؟



هايدغر : اتصل بي فون مولوندورف يوم إقالته وقال لي : «هايدغر... أنت الذي يجب أن يمسك برئاسة الجامعة». قلت له بإنني لست على دراية كبيرة بالمسائل الإدارية، وحثّني مساعد رئيس الجامعة السيد ساور (عالم اللاهوت) بدوره على أن أرشح نفسي لرئاسة الجامعة إذ أنه يمكن حسب قوله أن تعيّن الوزارة موظفاً في حالة عدم عثورها على شخص تثق فيه. وهبّ إليّ زملاء يصغرونني سنّاً كنت قد تحدث معهم حول قضايا تتصل بتنظيم الجامعة، محاولين إقناعي بضرورة أن أكون عميداً. وقد تردّدت طويلاً. وأخيراً قبلت أن أقوم بهذه المهمّة، فقط من أجل مصلحة الجامعة إذا ما تأكدت من رضى كلّ أعضاء المجلس الانتخابي. إلاّ أن شَكّي حول مدى قدرتي الإداريّة ظلّ كامناً فيّ حتى أنني صبيحة اليوم المخصص للانتخاب، ذهبت إلى العمادة، وأعلنت للزملاء الذين كانوا يوجدون هناك، وكان من مولوندورف، وساور، من بينهم، أنه ليس باستطاعتي أن أشغل المنصب. عندئذ أخبرني زملائي بأنّ عملية الانتخاب قد أعدّتْ، وأنه لا يمكنني بالتالي أن أسحب ترشحي.

دير شبيغل : إعتماداً على ذلك، قررتَ في النهاية قبول المهمة. ما هي الأشكال التي اتخذتها في علاقتك بالقوميين الإشتراكيين ؟

هايدغر : بعد يومين من بدء عملي كرئيس للجامعة، اتّصل بي رئيس الطلبة القوميين الإشتراكيين[1] مرفوقاً بزميلين له، وطلب منّي السّماح لهم بتعليق المنشور الخاص باليهود، فرفضت. وانسحب الطلبة الثلاثة بعد أن أعلموني أنهم سينقلون قراري إلى قيادة الطلبة القوميين الإشتراكيين. بعد أيّام اتصل بي هاتفيّاً من المكتب المكلف بالتعليم العالي في الإدارة المركزية لـS.A د.باومان الذي يرأسه، وطالبني، بالسماح بتعليق المنشور مثلما حدث في بقيّة الجامعات، وإن رفضت فإنني أعرّض نفسي للإقالة، وربما أيضاً إلى إغلاق الجامعة. حاولت أن أحصل على قبول وزير التربية في مقاطعة بادن بقراري، إلاّ أنه أعلن أنه ليس باستطاعته أن يتخذ أي قرار معارض للطلبة القوميين الإشتراكيين. مع ذلك لم

1. خلال مؤتمرها الذي انعقد في ثكنة عسكريّة بـ«كونيغسبارغ»، أقرّت جمعيّة الطلبة الألمان مبدأ تعيين القادة من قبل الهيئات العليا. وقد أصبح هذا القرار مبدأ عامّا في كلّ الجامعات الألمانية إبتداء من شهر أكتوبر – تشرين الأول عام 1933.



أتراجع عن قراري.

دير شبيغل : نحن لا نعرف إلى حدّ هذا الوقت أن الأمور كانت على هذا الشكل.

هايدغر : السببُ الحقيقي الذي دفعني إلى قبول منصب رئاسة الجامعة هو ذلك الذي كنت قد أعلنت عنه في محاضرتي الافتتاحيّة بجامعة فرايبورغ سنة 1929 «ما هي الميتافيزيقا ؟» : «إنّ مجالات العلوم منفصلة وبعيدة عن بعضها البعض، والطريقة التي تُحَلِّلُ بها العلومُ الأشياءَ تكون مُخْتلفة عن سابقتها اختلافاً شديداً في كلّ مرّة. إنّ تعدّد مثل هذه العلوم المشتّتة لا يجد الترابط المنطقيّ اليوم إلاّ في ذلك الذي يمنحه له التنظيم التقني للجامعات والكليات، وليس هناك بين مثل هذه الاختصاصات سوى نقطة وحيدة، هي الاستعمال العملي لها. وفي مقابل ذلك فإن تجذّر العلوم في جوهر وجودها شيء ميّت». وكلّ ما حاولت القيام به خلال فترة رئاستي للجامعة تجاه وضع الجامعات في ذلك الوقت - وحتى الأشكال المتطرفة التي بلغها اليوم - موضّح توضيحاً كافياً في الخطاب الذي ألقيته يوم تنصيبي رئيساً للجامعة.

ديرشبيغل : نحن نحاول أن نكتشف كيف وإلى أيّ مدى يتطابق هذا القول الذي أعلنت عنه سنة 1929 مع الخطاب الذي ألقيته سنة 1933. نحن نستخرج جملة من إطارها العام : «الحرية الأكاديميّة التي بولغ في التغني بها، مُلغاة من الجامعة الألمانيّة. ذلك أنّ مثل هذه الحرية ليست حقيقيّة، ولكنها فقط سلبيّة». ونحن نعتقد أنّنا على حقّ حين نتصوّر أنّ هذه الجملة تعبّر عن تصوّرات لا زلت على الأقل في جزء منها، متطابقاً معها إلى اليوم...

هايدغر : نعم، إني أحتفظ بما قلت. إذ أن هذه «الحرية» الأكاديمية لم تكن في أغلب الأحيان إلاّ سلبيّة : الحرية في عدم بذل الجهد، وفي عدم الانفتاح على التأمل والتفكير اللذين تتطلبهما الدراسات العلميّة. وعلى أيّة حال، الجملة التي ذكرتماها الآن، لا يجب أن تقرأ وهي معزولة عن إطارها العام. ففي هذا الإطار العام فقط، يمكن للإنسان أن يفهم ما كنتُ أقصده بالحرية السلبية.

شبيغل : بالتأكيد... ولكننا نعتقد مع ذلك أننا نلمس نبرة جديدة في



خطابك الافتتاحي عندما تتحدث مثلاً، بعد أربعة أشهر من صعود هيتلر إلى السلطة كمستشار للرايخ، عن «عظمة وبهاء هذه الإنطلاقة».

هايدغر : هكذا كان اعتقادي في ذلك الوقت...

دير شبيغل : هل تستطيع أن أن تضيف تعليقاً لتوضيح ذلك ؟

هايدغر : طبعاً... لم أكن أرى في ذاك الوقت أيّ حلّ آخر. ووسط الفوضى العامة للآراء والتيارات السياسيّة التي كان يمثلها إثنتان وعشرون حزباً، كان لا بدّ من إيجاد موقع قوميّ، وخاصة إجتماعي في الإتجاه العام لمحاولة فريدريك ناومان[2]. وباستطاعتي التذكير، على سبيل المثال، بدراسة لإدوارد سبارنجير[3] تذهب أبعد من خطابي الذي ألقيته في حفل الافتتاح.

دير شبيغل : في أيّ وقت بدأت تهتمّ بالسياسة ؟ الإثنتان وعشرون حزباً كانت موجودة قبل ذلك... وكان هناك أيضاً ملايين العاطلين عام 1930...

هايدغر : في ذلك الوقت كنت مهتمّاً بالمسائل التي وردت في \الكينونة و\الزمن (1927)، وبالكتابات والمحاضرات التي ألقيتها في السنوات الموالية. إنها مسائل فكريّة أساسيّة على علاقة غير مباشرة بالمسائل القوميّة والإجتماعية. والمسألة الأكثر إلحاحاً بالنسبة لي كأستاذ جامعي في ذلك الوقت، كانت مسألة مصير العلوم واتجاهاتها، وفي نفس الوقت تحديد دور الجامعة وعملها. وهذا البحث كان واضحاً في عنوان خطاب حفل التنصيب : «إثبات الجامعة الألمانية لوجودها». لم يكن هناك حفل تنصيب تجرأ على اختيار هذا العنوان في ذلك الوقت. ولكن مَنْ مِنْ بين هؤلاء الذين تحاملوا على هذا الخطاب، قرأه وتمعّن فيه جيّداً وفسّره إنطلاقاً من ظروف المرحلة ؟

دير شبيغل : «إثبات الجامعة لوجودها...» في عالم متقلب...ألا يبدو هذا

2. فريدريك نيومان (1860-1919) قسّ بروستانتي، نائب في مجلس «فايمار» بعد أن كان عضوا في «الرايشتاغ» عام 1907. وهو مؤلف كتابين هامين، والسؤال الأساسي الذي طرحه في مجمل دراساته هو التالي : كيف توجد داخل ألمانيا نفسها بورجوازيّة وطنيّة، وبروليتاريا أكثر آلية، وبأيّ اشتراكية وطنيّة ؟

3. إدوارد سبارنجير (1882-1963) تلميذ فيلهالم ديلتاي. أنجز أعمالا ودراسات عن غوته وهمبولت. وفي عام 1924 ألف كتابا عن «الفتيان الشيوخ» بيع منه مائة ألف نسخة .وفي عام 1933، قدم استقالته من جامعة برلين، إلاّ أنّ إستقالة لم تقبل. وعقب محاولة الإغتيال التي تعرض لها هيتلر يوم 20 يوليو- تموز 1944، تمّ إيقافه وأودع السجن.



في غير أوانه، وفي غير محله ؟

هايدغر : كيف ذلك ؟ «إثبات الجامعة لوجودها».. لقد كان هذا يتعارض مع ما يُسمّى بـ «العلم السياسي» الذي كان منذ ذلك الوقت، مطالباً به داخل الحزب، وداخل صفوف الطلبة القوميين الاشتراكيين. وهذه التسمية : «العلم السياسي» كان لها معنى يختلف تماماً عن معنى اليوم. إنها لا تعني السياسة في حدّ ذاتها، بل تعني ما يلي : العلم الحقيقي هو ذلك الذي يكون مفيداً للشعب ومُلَبّيا لرغباته. والموقف المضاد لهذا الاتجاه «التسييسي» للعلم مُعلن عنه بوضوح في خطاب العمادة[4].

دير شبيغل : هل نحن نفهمك جيّداً ؟ هل بجرّ الجامعة إلى ما كنت تشعر به في تلك الفترة كما لو أنه انطلاقة، كنت تريد التأكيد على أصالتها ضد التيارات التي كانت بالأحرى قوية إلى درجة أنها لم تكن لتترك للجامعة الطابع الخاص بها ؟

هايدغر : بالتأكيد، لكن على إثبات الوجود أن يعمل، أمام التنظيم التقني فقط، على أن يكتسب مرة أخرى معنى جديداً ينطلق من موروث الفكر الغربي الأوروبي.

دير شبيغل : سيادة الأستاذ... هل نفهم من كلامك أنك كنت تعتقد أنه بإمكانك أن تحصل على دواء للجامعة من خلال التعاون مع القوميين الاشتراكيين ؟

هايدغر : هذا الفهم خاطئ. ليس بالتعاون مع القوميين الاشتراكيين. الجامعة لا بد أن تتجدد انطلاقاً من تفكير خاص بها، وأن تحصل بذلك على موقع قوي وصلب أمام «تسييس» العلم في المعنى الذي كنتُ قد وضّحته من قبل.

دير شبيغل : لهذا ذكرت في خطاب الافتتاح هذه الركائز الثلاث : مصلحة

4. تسييس كان مطالبا به بصفة خاصة من البيداغوجي ارنست كريك الذي انتخب في نفس هذا العلم، عام 1933، عميدا لجامعة فرانكفورت في نفس الوقت الذي كان فيه مديرا للجريدة القوميّة الإشتراكية : Volk In Werden التي هاجمت بشدة هايدغر في السنة الموالية. وفي كتاب له حمل عنوان : National Politische Erziehung الذي صدر عام 1933، دافع كريك عن ضرورة تقسيم الجامعة إلى معاهد مهنيّة، يكون لكلّ واحد منها اختصاص محدّد.



العمل - مصلحة الدفاع - مصلحة المعرفة، واعتماداً على ذلك، هل كنت تعتقد إذن أن على مصلحة العمل أن تكون في نفس المستوى مع بقية المصالح، وهو موقف لم يعترف به القوميّون - الاشتراكيون.

هايدغر : المسألة لا تتعلق بركائز. إذا ما أنتم قرأتهم بانتباه : مصلحة المعرفة تحتلّ في الذكر، الموقع الثالث. إلاّ أنّ المعنى، يمنحها الموقع الأول. ما يجب أن يتمّ التأمّل فيه، هو أنّ العمل والدفاع مثل كلّ نشاط إنسانيّ متأسّسان انطلاقاً من علم ما، ومستنيران به، وبه يهتديان.

دير شبيغل : مع ذلك، لا بدّ أن نتحدث - ثم ننتهي بعد ذلك من ذكر مثل هذه الاستشهادات المضجرة - عن جملة نحن لا نتصور أنك مقتنع بها اليوم. في خريف 1933، قلت : «لا يجب أن تكون النظريّات والأفكار هي قاعدة وجودك. وحده «الفوهرر» هو الحاضر والمستقبل والواقع الألماني وقانونه».

هايدغر : هذه الجمل لا توجد في خطاب حفل التنصيب، ولكن في الجريدة الداخليّة لطلبة فرايبورغ، وذلك في بداية الفصل الدراسي 1933 - 1934. عندما قبلت أن أكون رئيساً للجامعة، كنت أعرف أنه لا بدّ من تقديم بعض التنازلات. لا أكتب اليوم مثل هذه الجمل المذكورة. ولم أقل قط مثلها منذ 1934.

دير شبيغل : هل باستطاعتنا أن نلقي عليك مرة أخرى سؤالاً عرضيّاً ؟ هذا الحوار يوضّح الآن أنّ موقفك خلال 1933 كان يتأرجح بين اتجاهين. أولاً كنت مجبراً على قول بعض الأشياء. وهذا هو الاتجاه الأول. لكن الاتجاه الثاني كان على كل أكثر إيجابيّة، وهذا ما تعبر عنه عندما تقول : «كان لديّ شعور بأن ثمة شيئاً جديداً، وأن هناك انطلاقة».

هايدغر : هذا ما كنت أقصده. لم أتكلم مُتصَنّعاً ذلك، وإنما لأنني كنت أرى حقّاً هذه الإمكانيّة.

دير شبيغل : أنت تعلم أنه انطلاقاً من هذه الأشياء، اتُّهمتَ بأنكَ كنتَ على علاقة بالقوميين الاشتراكيين، ومع جمعياتهم. مثل هذه الاتهامات التي بلغت الجمهور الواسع ظلّت إلى حدّ الآن دون توضيح. وهناك من يتهمك بأنك ساهمت في عمليّات حرق الكتب التي نظمها الطلبة الهتليريّون...



هايدغر : لقد منعتُ عمليّة حرق الكتب التي كانت ستحْدث أمام مَبْنى الجامعة.

دير شبيغل : ثم إن هناك من يتّهمك بأنك أخرجت من مكتبة الجامعة، ومن منتدى الفلسفة مؤلفات الكتاب اليهود ؟

هايدغر : لم تكن لي سلطة كرئيس للمنتدى إلاّ على مكتبته. ولم أرضخ قط للأوامر المتكرّرة التي كانت تلحّ على ضرورة القضاء على المؤلفات اليهوديّة. بعض الذين ساهموا قديماً في بعض أعمالي في منتدى الفلسفة باستطاعتهم أن يشهدوا على أننا لم نخرج مؤلفات اليهود، وأننا كنّا نناقش أعمالهم، خاصّة أعمال هوسرل التي ظلّت تناقش، وتُفسَّر مثلما كان الأمر قبل 1933.

دير شبيغل : كيف تفسر إذن ظهور مثل هذه الإشاعات ؟ هل هو الخبث والنميمة ؟

هايدغر : بسبب معرفتي بمصدرها، لا أستطيع أن أنكر هذا الأمر، إلاّ أنّ أسباب النميمة أعمق من ذلك. إن قبولي برئاسة الجامعة لم تكن ربما سوى الفرصة وليس السبب الرئيسي. لهذا فإنّ الجدل سوف يشتعل في كل مرة تسمح فيها الفرصة بذلك.

دير شبيغل : بعد عام 1933، كان لك طلبة يهود. وعلاقتك بالبعض منهم كانت حميمة.

هايدغر : لم يتغيّر موقفي منذ عام 1933. إحدى طالباتي واسمها هيلين فايس، كانت الأكثر نبوغاً، هاجرتْ بعد ذلك إلى إسكتلندا. وقد قدمتْ رسالتها لنيل شهادة الدكتوراة في جامعة بازل بعد أن تعذّر عليها القيام بذلك في جامعة فرايبورغ. عنوان رسالتها : «السببيّة والصدفة في فلسفة أرسطو». صدرت هذه الرسالة في بازل عام 1942. وفي مقدمتها كتبت صاحبتها ما يلي: «إنّ محاولة التفسير الفينومينولوجي التي سأقدم منها الجزء الأول ساعدتني على القيام بها تفسيراتٌ لهايدغر لم تنشر إلى حدّ الآن حول الفلسفة الإغريقيّة». وها نسخة من هذه الرسالة مع الإهداء. وقد زرتُ السيدة فايس في بازل مرات عديدة قبل وفاتها.



دير شبيغل : كنت صديقاً لمدة طويلة لكارل ياسبارس. وبعد عام 1933 تعكّرت صداقتكما. والشائعات تقول بإن سبب هذا التعكّر هو أن زوجة ياسبارس يهودية. هل بإمكانك أن تقول شيئاً حول هذا الموضوع ؟

هايدغر : كنت صديقاً لياسبارس منذ 1919. وقد زرته وزوجته في هايدلبارغ خلال فصل صيف 1933. وأرسل لي ياسبارس كلّ كتبه بين 1934 و1938، مع «تحيّة وديّة».

دير شبيغل : كنتَ تلميذاً لسلَفك إدموند هوسرل اليهودي، أستاذ كرسي الفلسفة في جامعة فرايبورغ. وقد أمر بتعيينك بعده في نفس الكرسي. هل تعترف له بالجميل ؟

هايدغر : أنتم تعرفون الإهداءَ في كتابي : الكينونة والزمن.

دير شبيغل : طبعاً. لكن علاقتك به تعكرت بعد ذلك ...هل تستطيع، وهل ترغب في أن تقول لنا لأي شيء يعود ذلك ؟

هايدغر : الإختلاف بشأن المسائل الجوهريّة احْتدّت وتفاقمتْ. في بداية الثلاثينات، راح هوسرل يقوم بعملية تصفية حسابات مع ماكس شيللر، ومعي بصفة علنيّة. وأمّا السبب الذي دفع هوسرل إلى التحامل على أفكاري الفلسفية علناً، فلستُ قادراً على إدراكه.

دير شبيغل : في أيّة مناسبة حدث ذلك ؟

هايدغر: في قصر الرياضة ببرلين تحدث هوسرل أمام الطلبة. وقد كتب أيريك موهزام عن هذا التدخّل في إحدى الصحف الكبرى ببرلين.

دير شبيغل : الخصومة ليست هامة في حدّ ذاتها. ما هو مهم فقط أنها ليست على علاقة بما حدث سنة 1933.

هايدغر : أبداً.

دير شبيغل : ما يعاب عليك هوأنك تعمدتَ حذف الإهداء إلى هوسرل من الطبعة الخامسة لكتاب الكينونة والزمن التي صدرت عام 1941...

هايدغر : نعم ... هذا صحيح. وقد وضّحتُ السبب في كتابي :



Unterwegs zur sprache (توجّه نحو الكلمة) حيث نجد ما يلي : «لكي أردّ على ادعاءات خاطئة ترددتْ أكثر من مرة، لا بدّ أن أقول بإنّ الإهداء في الكينونة و\الزمن، المشار إليه في الصفحة 92 من هذا النص ظل في مكانه في أول الكتاب في الطبعة الرابعة التي صدرت عام 1935. وعندما رأى الناشر نايمار أن الطبعة الخامسة في عام 1941 قد تعرّض الكتاب إلى بعض المضايقات، وربما إلى المنع، اقترح عليّ، ورجَا منّي حذف الإهداء من الطبعة، شرط، وهذا الشرط صادر عني،أن يُبقي على الملاحظة الواردة في الصفحة 38، التي جاء فيها : «وإذا ما تقدم هذا البحث خطوات إلى الأمام في مجال دراسة الأشياء ذاتها، فإنّ المؤلف يتقدم بالشكر إلى هوسرل الذي ساعده على تطويع موضوعه خلال سنوات الدراسة في فرايبورغ، وذلك بفضل إشرافه الشخصي اليقظ، والاطلاع الأكثر حرية على الأعمال غير المعروفة، المتعلقة بالمجالات المختلفة للبحث الفينومينولوجي».

دير شبيغل : إذن لا فائدة من أن نسألك هل أنت من منعت حقّاً الأستاذ الشرفي هوسرل من الدخول إلى مكتبات الجامعة، ومنتدى الفلسفة أو استخدامها عندما كنت رئيساً للجامعة....

هايدغر : إنها نميمة وخساسة.

دير شبيغل : ولا توجد أيضاً رسالة فيها مثل هذا المنع لهوسرل ؟ كيف ولدت هذه الإشاعة ؟

هايدغر : لا أدري... ولا أجد تفسيراً لذلك. وباستطاعتي أن أبيّن لكم استحالة مثل هذه التهمة بذكر حدث ليس معروفاً هو أيضا. عندما كنت رئيساً للجامعة، أقالت وزراة التعليم أستاذين يهوديين من منصبهما. الأول هو فون هاوزر الذي حاز على جائزة نوبل، كان آنذاك أستاذاً في الطب ومديراً للمستشفى الجامعي. والثاني هو فون هيفيسي الذي كان أستاذاً للفيزياء والكيمياء... لكني تمكنت من أن أعيدهما إلى منصبيهما بفضل اتصالات قمت بها شخصيّاً داخل الوزراة. أن أقوم بهذا العمل، وفي نفس الوقت أتصرّف مع هوسرل الذي كان مُتقاعداً آنذاك، وكان أستاذي ومعلمي، بمثل هذا التصرف، هذا أمر



غير معقول إطلاقا ! ثم إني منعتُ أيضاً مظاهرة كان الطلبة وبعض الأساتذة يريدون تنظيمها ضدّ الأستاذ فون هاوزر. وفي ذلك الوقت، لم يكن ما يسمّى بـ Privatdozenten (أي الأساتذة بدون كرسي) قد تجاوزوا هذا المستوى، وكانوا يقولون : «إنها فرصة لكي نتقدم إلى الأمام...»، وعندما اتصلوا بي طردتهم.

دير شبيغل : أنت لم تحضر مراسيم جنازة هوسرل ...

هايدغر : أريد أن أقول بأن التهمة التي تقول بإنني أنا الذي سعيت إلى قطع علاقتي بهوسرل ليس لها أيّ أساس من الصحة. لقد كتبتْ زوجتي رسالة إلى السيدة هوسرل باسمنا، وفيها ذكرت اعترافنا لهما الدائم بالجميل. وقد أرسلتْ زوجتي هذه الرسالة مرفقة بباقة زهور إلى هوسرل. وردّت عليها السيدة هوسرل باختصار شديد، وبصيغة شكر، لتعلمنا بأن العلاقة بين العائلتين قد انتهت. إن كنتُ قد تقاعستُ عن التعبير عن اعترافي بالجميل، وعن احترامي وتقديري خلال مرض وموت هوسرل، فإن هذا خطأ إنساني... وقد اعتذرت عن ذلك أمام السيدة هوسرل في رسالة أرسلتها لها...

دير شبيغل : توفي هوسرل عام 1938. ومنذ فبراير - شباط 1934، قدمت استقالتك من رئاسة الجامعة ...كيف توَصّلتَ إلى هذا القرار ؟

هايدغر: هنا لا بدّ من أن أتوسّع قليلاً في الكلام عن الجزئيات. لتجاوز التنظيم التقني للجامعة، أيْ لتجديد الكليات من الداخل انطلاقاً من أعمالها تجاه الأشياء ذاتها، اقترحتُ خلال فصل شتاء 1933 و1934 تسمية زملاء في عمادات مختلف الكليات يصغرونني سنّا، وكانت كفاءتهم عالية بالخصوص في مجال اختصاصاتهم. هذا من دون النظر إلى علاقتهم بالحزب. وهكذا أصبح ايريك فولف عميداً لكلية الحقوق، وشادفالدت عميداً لكلية الفلسفة، والأستاذ سورغل عميداً لكلية العلوم، والأستاذ فون مولندورف الذي كان قد أقيل من منصبه كرئيس للجامعة، عميداً لكلية الطب. لكن انطلاقاً من نهاية 1933، بدا واضحاً لي أن عملية التجديد داخل الجامعة مُستحيلة بالنسبة لي بسبب مقاومة رجال التعليم والحزب لذلك... البعض من الزملاء انتقدوني لأني أدخلت بعض الطلبة إلى مجلس إدارة الجامعة، وهو أمر يحدث الآن بصفة

عادية. ويوماً ما دُعيت إلى كارلسروّه حيث طلب منّي الوزير بواسطة أحد مستشاريه، وبحضور قائد الطلبة الموالين للنظام، أن أعوّض العمداء الذين عيّنتهم بزملاء آخرين بتمتّعون بدعم الحزب. وقد رفضتُ هذا الإقتراح، وهدّدتُ بتقديم استقالتي إذا ما أصرّت الوزارة على ذلك. وفي شهر فبراير - شباط 1934، استقلتُ، وكان ذلك بعد مرور عشرة أشهر فقط على بدء مهامّي كرئيس للجامعة في حين أن الذين يستلمون هذه المهمة في تلك الفترة، كانوا يظلون في مناصبهم عامين أو أزيد من ذلك. والصحافة الأجنبية والألمانية التي علّقت بكثير من الضجّة عن تعييني رئيساً للجامعة، صمتت عن استقالتي.

دير شبيغل : هل توفرت لك الفرصة في هذه الفترة لعرض أفكارك حول إصلاح الجامعة أمام الوزير المفوض من قبل الرايخ ؟

هايدغر: متى في هذه الفترة ؟

دير شبيغل : أنت تعلم أننا نتحدث دائماً عن الرحلة التي كان من المحتمل أن يقوم بها روست Rust إلى فرايبورغ عام 1933....

هايدغر : يتعلق الأمر بحادثتين مختلفتين : بمناسبة الاحتفال بذكرى شلاغتار في «شوناو» بمقاطعة فورتنبارغ، كان هناك لقاء رسميّ قصير صافحتُ خلاله الوزير. في ما بعد تحدثتُ مع الوزير في برلين في شهر نوفمبر - تشرين الثاني عام 1933. وقد عرضتُ عليه مفهومي للعلم، وللشكل الذي يمكن أن نمنحه للكليات. وقد أنصت لي بانتباه حتى أنني تصوّرتُ أن يلقَى العرضُ الذي قدمتهُ صدى عنده. إلاّ أنه لم يحدث شيء. وأنا لا أستطيع أن أفهم لماذا يؤاخذني بعض الناس على هذا الحوار مع وزير التعليم في حكومة الرايخ الثالث في تلك الفترة التي كانت فيها الحكومات الأجنبية تتسارع للاعتراف بهيتلر، مانحة إياه الثقة المتعارف عليها في العلاقات بين الأمم.

دير شبيغل : هل تغيرتْ علاقتك بالقوميين - الاشتراكيين بعد استقالتك من رئاسة الجامعة ؟

هايدغر : بعد استقالتي، اقتصرتُ على القيام بعملي كأستاذ. وخلال صيف 1934، قدمتُ درساً في المنطق. وفي الفصل الثاني 1934-1935، قدّمتُ



درسي الأول حول هولدرلين. وفي عام 1936، شرعتُ في إلقاء محاضراتي حول نيتشه. والذين كانت لهم القدرة على إدراك مضمون ما بين السطور، فهموا أن ما قلت في تلك الدروس كان تفسيراً للقوميّة الإشتراكية ...

دير شبيغل : كيف تمت عمليّة تنصيب الرئيس الجديد ؟ ألم تحضر حفل التصيب ؟

هايدغر : رفضت حضور الحفل الرسمي لتسليم مهامي لخلفي...

دير شبيغل : هل كان الرئيس الجديد عضواً في الحزب ؟

هايدغر : كان رجل قانون. وجريدة الحزب : *Der Alemanne* أعلنت عن تسميته رئيساً بعنوان كبير : «أول رئيس جامعة قومي اشتراكي».

دير شبيغل : كيف تصرف الحزب معك ؟

هايدغر : كنت دائما تحت المراقبة.

دير شبيغل : وكنت على علم بذلك ؟

هايدغر : نعم...قضية الدكتور هانكه...

دير شبيغل : كيف لاحظت ذلك ؟

هايدغر : لقد جاء لزيارتي بعد أن تقدم لمناظرة الدكتوراه خلال فصل الشتاء 1936 و1937، وساهم في المنتدى الأعلى الذي أشرفتُ عليه خلال صيف 1937. لقد أرسلتْه المخابراتُ لمراقبتي.

دير شبيغل : ولماذا جاء فجأة لزيارتك ؟

هايدغر : بسبب الندوة التي خصصتُها لنيتشه خلال صيف 1937. وقد اعترف لي بعد اطلاعه على الطريقة التي كان يجري بها العمل، أنه لا يستطيع القيامَ بمهمة المراقبة، وأنه أراد أن يعلمني بذلك حتى أكون على علم بهذا الوضع في أفق محاضراتي المقبلة...

دير شبيغل : كان الحزب يراقبك بشدّة إذن ؟

هايدغر : كنت أعلم أن الكلام ممنوع حول كتبي، ومثلاً حول الدراسة التي قمت بها عن نظرية أفلاطون في الحقيقة. وقد هاجمت **مجلة الشبيبة الهيتليرية** *Wille*



und Macht بخساسة كبيرة محاضرتي عن هولدرلين التي ألقيتها في ربيع عام 1936 بالمعهد الألماني بروما. والذين يهمهم الأمر بإمكانهم أن يعودوا إلى مجلة ايريك كريك *Volk Im Werden* لكي يقرؤوا الهجوم الذي شنّ ضدي ابتداء من صيف 1934. وفي المؤتمر العالمي للفلسفة الذي انعقد في براغ عام 1934، لم توافق ألمانيا على حضوري إيّاه. وبنفس الطريقة تمّ إعفائي من حضور المؤتمر العالمي الخاص بديكارت الذي انعقد في باريس عام 1937. وقد استغربت لجنة المؤتمر بباريس غيابي فأرسلتْ لي عن طريق الأستاذ بريهياي، أستاذ الفلسفة بجامعة السربون، تطلب توضيحاً لذلك، ولكي تفهم الأسباب التي جعلتني لا أكون ضمن الوفد الألماني. وفي جوابي طلبت من لجنة المؤتمر أن تستوضح الأمر لدى وزراة التعليم في الرايخ. وبعد ذلك، جاءتني دعوة من برلين تطلب مني الالتحاق بالوفد فرفضت. وقد بيعت نصوص المحاضرتين «ما هي الميتافيزيقا؟»، و«جوهر الحقيقة» خفية وبلا عنوان على الغلاف. كما سُحب خطابي الذي ألقيته أثناء تنصيبي رئيساً للجامعة من المكتبات بعدعام 1934 بأمر من الحزب.

دير شبيغل : ثم تدهورت الأوضاع بعد ذلك ؟

هايدغر : في السنة الأخيرة من الحرب، أعفي 500 من أهمّ العلماء والفنانين من كلّ مجال من مجالات الخدمة العسكرية. ولم أكن أنا من بينهم. بل بالعكس، دعيتُ خلال صيف 1944 للقيام بأعمال تحصين على نهر «الرين».

دير شبيغل : كان كارل بارت[5] يقوم بالتّحصين على الضفة الأخرى، الضفة السويسريّة....

هايدغر : الطريقة التي تمت بها الأحداث هامّة. دعا رئيس الجامعة كلّ الجهاز التعليمي، وألقى خطاباً قصيراً محتواه ما يلي : «إنّ الإجراءات التي اتخذها مُوافَق عليها من قبل الأجهزة العليا، ومن قبل الحزب القومي – الاشتراكي. وهو سيقسّم الجهاز التعليمي إلى ثلاث مجموعات. أولا مجموعة لا يمكن الاستغناء عنها. ثانياً مجموعة يمكن الاستغناء عنها بالنّصف. ثالثا

5. كارل بارت (1886-1968) عالم لاهوت سويسري اشتهر بنزعته الليبرالية والتحررية، وبإنتمائه للحزب الإشتراكي – الديمقراطي.



مجموعة يمكن الاستغناء عنها تماماً. وكان في رأس قائمة من يمكن الاستغناء عنهم هايدغر وريتر»[6]. وخلال فصل شتاء 1944، و1945، عقب انتهاء أعمال التحصين على نهر «الرين»، قدمت درساً بعنوان : «الشعر والفكر». وكان تكملة لدرسي حول نيتشه، أي أنه توضيح لموقفي من القومية الاشتراكية. بعد الدرس الثاني جُنّدتُ في الميليشيا الشعبية Volkssturm، وكنت الأكبر سنّاً في فيلق المجندين من الجهاز العلمي !

دير شبيغل : ربما يمكن أن نلخّص الأمور على النحو التالي : في عام 1935، كإنسان ليس منُخَرطا في السياسة بالمفهوم الضيّق للسياسة، وليس في مفهومها الواسع، أنت انخرطتّ في سياسة هذه الحركة التي تبدو كأنّها انطلاقة...

هايدغر : عن طريق الجامعة...

دير شبيغل : أنت انخرطتّ إذن عن طريق الجامعة في هذه الحركة التي كنت ترى فيها انطلاقة....بعد حوالي عام، تخليتَ عن الوظيفة التي كنت تؤدّيها. وفي درس كنتَ ألقيته عام 1935، ولم يُنشر إلاّ عام 1953 تحت عنوان : «مدخل إلى الميتافيزيقا»، كتبتَ : «إن الذي يروّج وينشر اليوم - ويعني ذلك عام 1935 - باسم فلسفة القومية الاشتراكية، إلاّ أنه لا يرتبط بأية علاقة مع الحقيقة الداخليّة وعظمة هذه الحركة (أي اللقاء بين التقنية في بعدها الكونيّ، وإنسان الأزمنة الحديثة)، اختار هذه المياه العكرة التي تسمّى «قيماً» و«كليات» لكي يرمي فيها شبَاكه». هل أضفتَ العبارات التي بين قوسين فقط عام 1953، أي عند صدور الكتاب، لكي تشرح ربما للقارئ عام 1953 أين كانت تكمن بالنسبة لك «الحقيقة الداخلية وعظمة هذه الحركة»، أي القوميّة الاشتراكية، أم أن القوسين المقصود بهما الشرح كانا موجودْين في النص عام 1935 ؟

هايدغر : كانا موجودْين في المخطوط، ويقابلان بالضبط المفهوم الذي كان عندي في ذلك الوقت للتقنية، وليس للتفسير الذي خُصّت به التكنولوجيا في ما

6. الأستاذ الدكتور غيرهارد ريتر كان في هذه الفترة أستاذكرسيّ التاريخ الحديث في جامعة فرايبورغ. وقد تمّ توقيفه في أول نوفمبر- تشرين الثاني 1944 عقب محاولة إغتيال دبرت ضدّ هيتلر في 20 يوليو- تموز من العالم المذكور. ولم يتمّ إطلاق سراحه إلاّ يوم 25 أبريل- نيسان 1945 من قبل الحلفاء. وعقب انهيار الرايخ الثالث، أصبح غيرهارد ريتر أستاذا شرفيّا. توفي عام 1967.



بعد ك Ge-Stell. وإذا ما أنا لم أقرأ القوسين في الدرس الذي قدمته، فإنّ هذا يقوم على اعتقادي بأن المستمعين إليّ كانوا قادرين على إدراك ما كنت أقصده، ولم يكن يهمّني أن يفهم الأغبياء والجواسيس والمخبرون شيئاً آخر من كلامي ...

دير شبيغل : الحركة الشيوعية كانت بالتأكيد من هذا الصنف بالنسبة لك؟...

هايدغر : نعم، من دون شك في ذلك، إذ أنها هي أيضاً محددة بالتقنية الكونية...

دير شبيغل : النمط الأمريكي أيضاً...

هايدغر : هذا ما يمكن أن أقوله أيضاً. في غضون الثلاثين سنة الأخيرة، يمكن أن يتمّ التأكد بوضوح أنّ الحركة الكونية لتقنية الأزمنة الحديثة، قوة تحدّد التاريخ، وأن عظمتها لا يمكن الإفراط في تقديرها أبداً. وهذه بالنسبة لي مسألة حاسمة لمعرفة كيف يمكن أن نقابل بشكل عام نظاماً سياسياً مع العصر التقني، وما الذي يمكن أن يكون عليه هذا النظام. لا جواب لي على هذه المسألة. وأنا لا أستطيع أن أكون واثقاً من أن هذا النظام سيكون الديمقراطية...

دير شبيغل : لكن الديمقراطية ليست مفهوماً عاماً يمكن أن نضع فيه تصورات مختلفة. السؤال هو أن نعرف ما إذا كان تحوّل هذا الشكل السياسي لا يزال ممكناً. لقد تحدثتَ عام 1945 عن التطلعات السياسية للعالم الغربي. كما تحدثتَ أيضاً في هذا النطاق عن الديمقراطية، وعن التعبير السياسي للنظرة المسيحيّة للعالم. وفي نفس الوقت عن الدولة القائمة على القانون. وقد أطلقتَ على هذه التطلعات اسم : أنصاف حلول...

هايدغر : قبل كل شيء، أرجوكم أن تقولوا لي أين تحدّثْتُ عن الديمقراطية، وعن الأشياء التي ذكرتموها بعد ذلك. يمكنني أن أسميها بالفعل «أنصاف حلول» إذ أنني لا أرى في كلّ هذا إعادة نظر حقيقية في العالم التقني، ذلك أن هناك خلف كل ما ذكرتم، بحسب رأيي، فكرة تقول بإن التقنية في جوهرها شيء يمتلكه الإنسان. وحسب رأيي ليس هذا ممكناً. إنّ التقنية في جوهرها شيء ليس بإمكان الإنسان لوحده التحكم فيها...



دير شبيغل : من كلّ التيّارات التي أجملْنا وصفَها، ما هو برأيك التيار الذي يمكن أن ينسجم مع عصرنا ؟

هايدغر : بخصوص هذا الأمر، أنا لا أرى شيئاً. إلاّ أني أرى مسألة حاسمة يتحتم علينا قبل كل شيء توضيحُ ما أنتم تعنون بـ«منسجم مع عصرنا»، وماذا يعني «العصر». وأكثر من ذلك، يتحتّم علينا أن نتساءل عمّا إذا كان الانسجام مع العصر مقياس «الحقيقة الداخلية» للفعل الإنساني، وعمّا إذا كان الفعل الإنساني الذي يمنح المقياس ليس «الفكر، وليس الشعر»، بقطع النظر عن الهبوط الذي سقطت فيه هذه العبارة..

دير شبيغل : من الواضح أننا حين ننظر، نلاحظ أن الإنسان في كلّ عصر لا يتوصّل إلى حلّ مشاكله أو إيجاد حلول للقضايا التي يوجهها بآلته وحدها، حتى ولو كان هذا الإنسان مُطْلق جنّ. ليس من الإفراط في التشاؤم أن نقول إنه ليس باستطاعتنا الخلاصُ من مشاكلنا مع هذه الآلة التي هي بالتأكيد أكبر بكثير، نعني بذلك التقنية الحديثة ؟

هايدغر : تشاؤم...هذا لا. التشاؤم والتفاؤل، في مجال التفكير الذي نحاوله في هذه اللحظة، موقفان جدّ مختصريْن. لكن التقنية الحديثة تحديداً «آلة» ولا علاقة لها بالآلات...

دير شبيغل : لماذا يتحتّم علينا أن تصْرعنا التقنية إلى هذا الحد ؟

هايدغر : لا أقول «تصْرعنا».أقول إنه ليس لدينا إلى حدّ الآن أيّ طريق يناسب كائن التقنية...

دير شبيغل : بإمكاننا أن نُعارضك بكلّ سذاجة بهذا : ما هو الشيء الذي علينا أن نتحكم فيه هنا ؟ ذلك أن كل شيء يعمل بانتظام. فنحن نقيم المزيد من المحطات الكهربائية، والإنتاج جيّد، وحاجيات الناس الذين يعيشون في الجزء من العالم حيث تعرف التقنية تطوّراً كبيراً، مدبّرة. نحن نعيش في رفاهية. ما الذي ينقص هنا في نهاية الأمر ؟

هايدغر : كلّ شيء يعمل. القلق متأتّ من أنّ كلّ شيء يعمل، وأن العمل يأتي دائماً بعمل آخر جديد، وأن التقنية تجتثّ الإنسان من الأرض دائماً، وتقطع



جذوره منها. لست أدري إن كان هذا يفزعكم. أمّا أنا فأقول على أيّة حال بإنّ ما أفزعني هو أن أرى صوراً مرسلة من القمر إلى الأرض. نحن لسنا بحاجة إلى القنبلة الذريّة، ذلك أن قطع جذور الإنسان حصل. ونحن لم نعد نعيش غير ظروف تقنية بحتة. لم تعدْ أرضاً هذه الأرضُ التي يعيش عليها الإنسان اليوم... لقد تحاورتُ مؤخراً، ولوقت طويل، في «البروفانس» الفرنسيّة مع رينيه شار، الشاعر والمقاوم الذي ساهم في حركة المقاومة خلال الحرب الكونيّة الثانية. وهم كما أنتم تعلمون، يقيمون في «البروفانس» راهناً محطات نووية. والمنطقة بأسرها تشهد تخريباً لا يمكن تصوره. والشاعر الذي لا يمكننا أن نتهمه بالعاطفية، أو بالرغبة في التغزل بالطبيعة، قال لي إن قطع جذور الإنسان التي تمّ هناك في «البروفانس» يعني النهاية إذا لم يتمكن الفكر والشعر من أن يتبوّأ من دون عنف عرش السلطة ، التي هي سلطتهما.

دير شبيغل : علينا أن نعترف أننا نفضّل أن نكون هنا، وما دمنا أحياء، لن نكون مجبرين دون شك على الرحيل. لكن من يعلم إذا ما كان مصير الإنسان هو أن يكون على الأرض ؟ ولا يمكن أن نتصور أن يكون الإنسان بلا مصير أبداً. لكن على أيّة حال، بإمكاننا أن نرى أيضاً محاولة أخرى للإنسان، بحيث أنه انطلاقا من هذه الأرض، يمكن أن يبسط سيطرته على الكواكب الأخرى. وبالتأكيد لا يزال هناك وقت طويل لكي نصل إلى هذا المستوى. بكل بساطة، أين مكتوب أن مكان الإنسان هو هنا على هذه الأرض ؟

هايدغر : من خلال تجربتنا ومن تاريخنا الإنسانيين، وبحسب ما أعلمه، أعتقد أن شيئاً أساسيّاً وكبيراً لم يولد ولم ير النور إلاّ لأنّ الإنسان له وطن Heimat، وأنه مُتَجذّر في تراث معيّن. الأدب اليوم مثلاً، تخريبي وتدميري بشكل واسع.

دير شبيغل : كلمة «تخريبي» تقلقنا هنا. ومن جملة الأسباب الداعية لذلك هو أن كلمة «عدمي» أخذت منك ومن فلسفتك معنى متسعاً جداً. ونحن نُصْدَمُ عندما نسمع كلمة «تخريبي» مَنْقولة إلى الأدب، وهي التي بإمكانك، بل عليك، أن تعتبرها كما لو أنها جزء من هذه العدميّة.



هايدغر : بودي أن أقول بإن الأدب الذي أتحدث عنه ليس عدمياً بالمعنى الذي أستعمل فيه هذه الكلمة.

دير شبيغل : يبدو أنك ترى، وقد قلتَ ذلك بهذه العبارات، بإن هناك حركة عالميّة تقود أو قد تكون قادت إلى ظهور دولة تقنية مطلقة ؟

هايدغر : نعم...

دير شبيغل : حسن...إذن هناك سؤال يطرح بطبيعة الحال : ألا يزال باستطاعة الكائن البشري أن يكون له تأثير على نسيج هذه الأحداث التي لا بدّ أن تحدث، أو أن بإمكان الفلسفة أن يكون لها تأثير، أو الإثنان معاً، في حالة إذا كانت الفلسفة تقود الفرد أو عدة أفراد إلى القيام بفعل محدد ؟

هايدغر : إذا أنتم سمحتم لي بإجابة مختصرة أو ربما شاملة، إلاّ أنها ناتجة عن تفكير طويل، فإنني سأقول بإن الفلسفة ليس بإمكانها أن تنتج حدثاً فوريّاً يغيّر الوضع الراهن للعالم. وهذا لا يقتصر فقط على الفلسفة، وإنما يعني أيضاً ما هوفقط مشاغل وتطلّعات من جانب الإنسان. وحده إله يمكن أن ينقذنا. لم يتبقّ لنا سوى محاولة واحدة، هي أن نُعدّ في الفكر والشعر إمكانيّة لظهور الله، أو لغياب الله في تدهورنا. أن نتدهور أمام إله غائب.

دير شبيغل : هناك علاقة بين فكرك وبين ظهور الله ؟ هل هناك في نظرك علاقة سببيّة ؟ وهل تعتقد أنه بإمكاننا أن نفكر في هذا الله بطريقة تجعله يأتي إلينا ؟

هايدغر : ليس بمقدورنا أن نأتي به بالفكر. بمقدورنا على المستوى الأفضل أن نوقظ إمكانيّةً ما لانتظاره.

دير شبيغل : لكن هل باستطاعتنا أن نساعد على ذلك ؟

هايدغر : إعداد الإمكانيّة يمكن أن يكون النجدة الأولى. العالم لا يمكن أن يكون ما هو وكما هو بالنسبة للإنسان. إلاّ أنه لا يمكن أن يكون من دون الإنسان. وهذا يعود بالنسبة لي إلى أنه من كلمة تأتي من بعيد محمّلة بالعديد من المعاني، واليوم هي بالية ومستهلكة، أسمي «الكينونة»، وهي ما يحتاجه الإنسان



لظهوره، ولصيانته، ولصورته. إنّ جوهر التقنية أراه في ما أنا أسميه Ge-Stell وهي عبارة عادة ما تستعمل بشكل سيئ، أو بشكل مثير للسخرية. إنّ هيمنة Ge-Stell تعني ما يلي : الإنسان يتحمل المراقبة، وهو أمام قوة تتجلى في جوهر التقنية، وهو لا يسيطر عليها بنفسه. وفي النهاية، نحن توصلنا إلى أن نرى الأمر التالي : لا يزعم الفكر أنه باستطاعته أن يفعل أزيد مما فعل. والفلسفة لم تعد تتحمل أكثر ممّا باستطاعتها أن تتحمله. لقد استنزفت قواها.

دير شبيغل : في الزمن الماضي- وليس فقط في الزمن الماضي- اعتقدنا أن الفلسفة لها نتائج غير مباشرة، أو نادراً ما تكون لها نتائج مباشرة، إلاّ أنه بإمكانها أن تكون لها كثير من النتائج غير المباشرة، وأنها أحدثت تيّارات جديدة، وإن نحن اقتصرنا على ذكر الألمان وحدهم، فإنّا نستحضر الأسماء الكبيرة مثل كانط، وهيغل، انتهاء بنيتشه، من دون أن نتحدث عن ماركس، في حين أنه باستطاعتنا أن نقدم الدليل على أن الفلسفة من خلال طرق متعرّجة، كان لها تأثير هائل. هل تريد أن تقول الآن إن هذا التأثير للفلسفة انتهى ؟ وعندما تقول إن الفلسفة القديمة ماتت، وإنها لم تعدْ موجودة، فهل تعتقد في نفس الوقت في أن تأثير الفلسفة، إذا ما لم يكن لها ذلك أبداً، لم يعدْ موجوداً اليوم هلى أيّة حال ؟

هايدغر : فكر آخر يمكن أن يكون لها تأثير غير مباشر. لكن ليس هناك تأثير مباشر بحيث يمكن أن يبيح لنا بأن نقول بأن فكراً مّا «يحدث» تغييراً في وضع العالم...

دير شبيغل : المعذرة... نحن لا نريد أن نتفلسف، وليس باستطاعتنا أن نفعل ذلك على أيّة حال. إلاّ أننا نلمس هنا الصلة بين السياسة والفلسفة. لهذا اسمحْ لنا أن نجرّك إلى هذا الموقع في مثل هذا الحوار. كنت تقول قبل قليل إن الفلسفة والفرد لا يمكنهما أن يفعلا خارج....

هايدغر : ... خارج الإعداد لإمكانية أن نظلّ - مفتوحين لقدوم أو لتغيّب الله. واختبار هذا التغيّب ليس لا شيء، وإنما هو خلاص الإنسان مما أنا أسميه في الكينونة والزمن بـ«حبوط المسعى» إلى جانب الموجود. والتفكير حول ما أصبح عليه اليوم جزء من الإعداد لهذه الإمكانية التي كنتُ قد تحدثتُ عنها.



دير شبيغل : لكن لا بدّ في هذه الحالة أن تأتي المساعدة من الخارج مرة أخرى من إله أو من أيّ واحد آخر. وإذن من ذاته، وإعتماداً على قواه الخاصة، أليس بإمكان الفكر أن يكون له تأثير اليوم ؟ مع ذلك، حدث هذا التأثير في الماضي، بحسب رأي معاصرين، وأعتقدأنه بإمكاننا أن نقول بحسب رأينا نحن أيضاً.

هايدغر : لكن ليس بصفة مباشرة...

دير شبيغل : لقد ذكرنا كانط، وهيغل، وماركس لأنهم كانوا مولّدين لحركة. لكن ابتداء من لايبنيتز أيضاً انطلقت محرّضات لتقدم الفيزياء الحديثة، وبالتالي لولادة العالم الحديث بصفة عامة. نحن نعتقد أننا سمعنا أنك قلت قبل قليل إنك لا تعوّل أبداً اليوم على تأثير هذا الصنف...

هايدغر : أكثر منه في المعنى الفلسفي. إن الدور الذي كانت تلعبه الفلسفة حتى يومنا هذا بدأت العلوم تلعبه في الوقت الراهن. ولكي نوضح بما فيه الكفاية كلمة «تأثير» الفكر، فإنه يجدر بنا أن نتعمّق أكثر في السؤال، وأن نسأل ماذا يمكن أن يعني هنا «التأثير»، و«يكون له تأثير». وسنكون بحاجة إلى أن نميّز بوضوح بين Anlass (فرصة) وantoss (دفع) وfoerderung (عائق ومانع) وitthilfe (إسعاف ومساعدة) بعد أن يكون السؤال الذي يطرحه مبدأ العقل، قد تمَوْضَع بما فيه الكفاية. الفلسفة تذوب في العلوم الخاصة : السايكولوجيا، المنطق، وعلم السياسة.

دير شبيغل : وما الشيء الذي أخذ مكان الفلسفة الآن ؟

هايدغر : السيبيرنيتيقا (علم التحكم).

دير شبيغل : أم الإنسان التقيّ الورع الذي يظلّ منفتحاً ؟

هايدغر : لكن هذا لا يمتّ للفلسفة بأيّ صلة.

دير شبيغل : ما هو إذن ؟

هايدغر : أسمّي هذا الفكرَ الآخر.

دير شبيغل : تسمي هذا الفكر الآخر... هل يمكنك أن تبلور هذا بشكل أوضح ؟



هايدغر : هل تفكرون في الجملة التي تختم محاضرتي : «التقنية كسؤال» Die Drage Nach Der Technick : «التساؤل هو تقْوى الفكر ؟» ...

دير شبيغل : لقد عثرنا في محاضراتك حول نيشته على جملة تبدو مضيئة بالنسبة لنا. تقول في هذه الجملة : «لأنه في الفكر الفلسفي تهيمن إرادة علاقة رفيعة وسامية، لذا فإنّ كلّ المفكرين يقولون الشيء ذاته. إلاّ أن هذا الشيء ذاته جوهريّ جدّاً، وثريٌّ جدّاً حتى أن مفكراً بمفْرده ليس قادراً على استنفاده. وكلّ واحد لا يقوم إلاّ بأن يرتبط بالآخر ارتباطاً أشدّ متانة». غير أنّ هذا الصّرحَ الفلسفي يبدو بالنسبة لك وكأنه وصل إلى الاكتمال...

هايدغر : لقد اكتمل. وهذا لا يعني أنه ألغي بالنسبة لنا. لكنه حاضر مرة أخرى بحقّ في الحوار. كلّ العمل الذي قمتُ به في دروسي خلال الثلاثين سنة الأخيرة لم يكن بالأساس سوى تفسير للفسلفة الغربيّة. والصعود إلى نقاط الانطلاق بالنسبة لتاريخ الفكر، والصبر الذي علينا أن نتحلّى به في التفكير حول المسائل التي لم تصبح بعد قضيّة منذ الفلسفة الإغريقيّة، وكلّ هذا لا يعني الانسلاخ عن الموروث. إلاّ أنني أقول بإن طريقة التفكير المتصلة بالموروث الميتافيزيقي التي اكتملت مع نيتشه، لا تمنحنا مطلقاً إمكانيّة للتفكير الذي يمكّننا من التعرّف على ماهية الخطوط العامّة للعصر التقني الذي بدأ الآن.

دير شبيغل : لقد تحدثتَ قبل عامين مع كاهن بوذيّ عن «طريقة جديدة في التفكير»، وقلت بإنّ هذه الطريقة الجديدة «ليست في الوقت الراهن ممكنة إلاّ بالنسبة لقلّة قليلة من الناس». هل تريد أن تقول من خلال هذا إن عدداً قليلاً من الناس وحدهم قادرون أن يمتلكوا بالنسبة لك الرؤى الممكنة والضرورية ؟

هايدغر : «أن يمتلكوا» في المفهوم الأصلي : أي أن يقدروا بطريقة على قول ذلك...

دير شبيغل : نعم...لكن لنقلْ لكي يكون هناك إنجاز، ودائماً في هذا الحوار مع البوذي، هذا ما أنت لم توضحه بشكل مقنع...

هايدغر : ليس باستطاعتي أن أوضح ذلك...أنا لا أعرف شيئاً عن «التأثير» الذي يمكن أن يحدثه هذا الفكر. ومن المحتمل أيضاً أن يقود طريق،



الفكر اليوم إلى الصمت لمنع الفكر من التلاشي والتبخّر في ظرف عام. ويمكن في حالة أخرى أن يتطلب مرور ثلاثمائة سنة لكي يكون له «تأثير»...

دير شبيغل : نحن نفهم جيّداً ما تقول... فقط بما أننا لن نكون في عداد الأحياء بعد ثلاثمائة سنة، لكننا نعيش الآن وهنا، فإن الصمت ممنوع علينا. نحن رجال سياسة، أو نحن أنصاف السياسيين، والموظفين، والصحافين... علينا أن نتخذ قرارات من دون توقف. وعلينا أن نتدبر أمرنا مع النظام الذي فيه نعيش. وعلينا أن نراقب الباب الضيق الذي ينفتح على الإصلاح، والأكثر ضيقاً على الثورة. نحن نترقّب النجدة من الفلسفة. نجدة غير مباشرة بطبيعة الحال. نجدة تأتي إلينا ملتوية. وها هو الفيلسوف يقول لنا : ليس باستطاعتي مساعدتكم.

هايدغر : لأنني بالفعل لا أستطيع ذلك.

دير شبيغل : وهذا لا يمكن إلاّ أن يُحبط من هو ليس فيلسوفاً...

هايدغر: لا أستطيع ذلك لأن الأسئلة صعبة للغاية حتى أنّ هذا يمكن أن يسير في الاتجاه المعاكس لعمل الفكر، وأن يتحول إلى شكل من أشكال التصريحات الرسميّة، أو إلى وعظ وإرشاد، أو إلى توزيع لعلامات أخلاقيّة. وربما لا نجرؤ أن نقول ما يلي : مع سرّ الهيمنة الكونيّة للوجود غير المفكّر فيه للتقنية ، يتطابق السلوك الوقتي، وغير المرئيّ للفكر الذي يسعى للبحث عن ما هو غير مُفكّر فيه...

دير شبيغل : ألا تضع نفسك ضمن من بإمكانهم أن يشيروا إلى الطريق لو استمع إليهم فقط ؟

هايدغر : لا ! أنا لا أعرف أيّ طريق يقود إلى تغيير بطريقة فوريّة للوضع الحالي للعالم، هذا إذا ما نحن افترضنا أن هذا التغيير ممكن بالنسبة للناس. لكن يبدو لي أنّ محاولة التفكير يمكن أن توقظ الإمكانيّة التي كنت قد تحدثت عنها من قبل، وتوضّحها وتؤكّدها.

دير شبيغل : هذا جواب واضح... لكن هل بإمكان المفكر، أو هل له الحق في أن يقول : انتظروا قليلاً، من الآن وحتى انقضاء ثلاثمائة عام، وعندئذ يمكن أن تكون لنا فكرة ؟



هايدغر : هذا لا يعني بكل بساطة أن ننتظر إلى أن يتمكن الإنسان من بلورة فكرة ما بعد ثلاثمائة عام، وإنما يعني أنه انطلاقاً من الخطوط العامة للزمن الراهن، التي تمّ بالكاد التفكير فيها، علينا أن نفكر في الزمن الآتي قبل حلوله من دون ادعاءات تنبؤيّة. أن نفكر، هذا لا يعني أننا لا نفعل شيئاً. فالفكر هو في حدّ ذاته الفعل في الحوار مع العالم الذي له مفهوم المصير. ويبدو لي أن التمييز الذي يعود مصدره إلى الميتافيزيقا، بين النظرية والفعل Praxis، وتصوّر نقل يتمّ بين هذا وذاك، يقطع الطريق على فهم ما أقصده بـ«فكر». وربما أحيلكم إلى درسين أصدرتهما عام 1954 تحت عنوان : «كيف نحدّد ماهية التفكير؟». وبما لأنه قد يكون إشارة لزمننا هذا، فإنّ هذا الكتاب هو الأقل قراءة من كلّ ممّا أصدرت من كتب .

دير شبيغل : لنعدْ إلى نقطة الانطلاق. هل من المحتمل أن نرى في القومية - الاشتراكية، ومن جانب آخر تحقّق «اللقاء الكوني»، الاحتجاجَ النهائي الأسوأ والأقوى والأضعف في نفس الوقت من كلّ الاحتجاجات ضدّ اللقاء بين «التقنية في بعدها الكوني»، وبين إنسان العصور الحديثة ؟ ظاهريّاً أنت تتحمّل في شخصك مسؤولية معارضة، بحيث أنّ الكثير من الإنتاجات الثانوية لنشاطك لا يمكن أن تفسّر إلاّ على النحو التالي : من خلال أجزاء مختلفة من كيانك لا تلمس النواة الفلسفية، أنت تتشبّث بكثير من الأشياء، أنت تعلم كفيلسوف أنها ليست مقنعة. أشياء مثل «وطن»، و«تجذّر». كيف يتمّ الوفاق بين التقنية الكونيّة والوطن؟

هايدغر : لا أقول هذا. يبدو لي أنكم تنظرون إلى التقنية بطريقة مطلقة إلى حدّ كبير. أنا لا أنظر إلى الإنسان في عالم التقنية الكونية كما لو أنه فريسة لشقاء لا يمكن أن ينقذ نفسه منه. أنا أرى بالأحرى أن عمل الفكر هو أن يساعد في حدوده بطبيعة الحال على أن يتوصّل الإنسان أولاً إلى الدخول بما فيه الكفاية في علاقة مع كينونة التقنية. وقد ذهبت القومية الاشتراكية فعلاً في هذا الإتجاه. إلاّ أنّ تفكير زعمائها وقادتها ومنظريها كان بائساً وفقيراً بحيث أنه لم يتوصّل إلى عقد علاقة متينة وواضحة مع ما يحدث اليوم، وكان قد بدأ منذ ثلاثة قرون.



دير شبيغل : هذه العلاقة البيّنة والواضحة، هل يمتلكها الأمريكيّون اليوم ؟

هايدغر : لا يمتلكونها هم أيضاً. إنهم لا يزالون مكبّلين بفكرة تسيّر من دون شك باسم البراغماتيّة، التي هي العمليّات والاختبارات التقنية، إلاّ أنها في الوقت ذاته تقطع الطريق على التفكير في خصائص التقنية الحديثة. مع ذلك ثمة، في الولايات المتحدة الأمريكية، محاولات للتخلص من الفكر البراغماتي والوضعي. ومَن الذي بيننا يستطيع أن يؤكد أنه ستظهر في روسيا أو في الصين تقاليد قديمة للفكر ستساهم في أن تتيح للإنسان علاقة حرة مع العالم التقني ؟

دير شبيغل : لكن إذا لم يكن هناك أحد يمتلك هذا، وبما أنّ الفيلسوف لا يمكنه أن يمنح ذلك ...

هايدغر : إلى أيّ حدّ يمكنني أن أتوصّل بمحاولتي في التفكير، وبأية طريقة سوف تُتَقَبَّلُ هذه المحاولة في المستقبل، وما هي الثمار التي ستنتج عنها، هذه مسائل ليس بإمكاني أن أحسم فيها. محاضرتي التي تعود إلى عام 1957، وكنت كتبتها بمناسبة احتفاليّة بوبيل جامعة فرايبورغ تحت عنوان : «مبدأ الهويّة» هي الفرصة الأكثر قُرْباً من الناحية الزمنيّة، وفيها تجرّأت على أن أخطو إلى الأمام بضع خطوات، مُظهراً إلى أيّ حدّ تنفتح المحاولة بالنسبة لفكر يسعى إلى أن يتعرف على أيّ شيء يرتكز جوهر التقنية الحديثة : على إنسان العصر التقنني أن يتعرّف على علاقته بالكلمة التي يتطلّبها هذا العصر، وهي كلمة ليس عليه فقط أن يسمعها، بل عليه أكثر من ذلك، أن يكون له مكان فيها. إنّ فكري ينهض على علاقة لا مناص منها مع شعر هولدرلين. ليس هولدرلين بالنسبة لي شاعراً عادياً تكون أعماله مثل أعمال آخرين، موضوعاً لمؤرخي الأدب. إنه بالنسبة لي الشاعر الذي يشير إلى المستقبل، والشاعر الذي ينتظر الله، والذي ليس عليه إذن ألاّ يظلّ مجرّد موضوع بسيط للدراسات الهولدرلينية، سجيناً لتصوّرات تاريخ الأدب.

دير شبيغل : على ذكر هولدرلين، اسمحْ لنا أن نستشهد بك مرّة أخرى...



في الدرس الذي خصّصته لنيتشه قلت إنّ «الصراع الشهير بطرق متنوعَة بين ما هو ديونوسيسي (نسبة إلى ديونيسوس)، وما هو أبولوني (نسبة إلى أبولون)، الإندفاع المقدس والعرض المعتدل، يحتمي قانون أسلوب هو القدر التاريخي للشعب الألماني، وعلى هذا القانون أن يجدنا مستعدين ومهيّئين للعثور على الشكل الذي ينسجم معه. هذا التعارض ليس صيغة تسمح لنا بكلّ بساطة بوصف حالات «ثقافية». بهذا التعارض، طرح كلٌّ من هولدرلين ونيتشه سؤالاً على الألمان في مواجهة عملهم للعثور على كينونتهم في التاريخ. هل سنفهم هذه الإشارات ؟ هناك شيء مؤكد : سينتقم التاريخ منا إذا نحن لم نفهمه». نحن لا نعرف السنة التي كتبتَ فيها هذا الكلام. ونحن نعتقد أنه يمكن أن يكون ذلك سنة 1935 ؟

هايدغر : الفقرة التي استشهدتم بها توجد دونما شك في الدرس الذي ألقيته حول نيتشه : «إرادة القوة كفن»، وكان ذلك بين عامي 1936 و1937. لكن من المحتمل أن تكون هذه الجملة قد قيلت في سنوات لاحقة.

دير شبيغل : حسن...هل بإمكانك أن تعلق على هذه الجملة ؟ ذلك أن هذه الجملة تقودنا من المسار العام والشامل إلى المسار الملموس للألمان...

هايدغر : بإمكاني أن أقول أيضاً ما ورد في الجملة بهذه الطريقة : قناعتي هي أنه فقط انطلاقاً من نفس الموقع العالمي حيث وُلد العالم التّقنيّ الحديث، يمكن أن يُعَدّ تحوّل، وأن هذا التحوّل لا يمكن أن يحدث بتبنّي بوذيّة الزن، أو أيّ تجارب أخرى حصلت في الشرق. إن تحوّل الفكر بحاجة إلى مساعدة الموروث الأوروبي، أو مُكْتَسبه الجديد. إنّ الفكر لا يتغيّر إلاّ من فكر له نفس المصدر، ونفس الهدف.

دير شبيغل : في المكان ذاته، حيث وُلد العالم، هل تعتقد...

هايدغر : أن يتمّ التجاوز بالمعنى الهيغلي (نسبة إلى هيغل) للكلمة، وليس الإبعاد، لكن التجاوز بواسطة الإنسان ذاته.

دير شبيغل : وهل تعتقد أن الألمان لهم هنا عمل خاصّ ؟

هايدغر : نعم...بذلك المعنى، معنى الحوار مع هولدرلين...



دير شبيغل : وهل تعتقد أن الألمان لهم أهليّة لمثل هذا التّحوّل ؟

هايدغر : أفكّر في الوَشيجَة التي بداخل اللغة الألمانيّة مع لغة الإغريق ومع ماضيهم. وهذا ما يؤكده لي الفرنسيّون دائماً. فعندما يشرع الفرنسيّون في التفكير، فإنهم يتكلمون اللغة الألمانيّة. وهم يؤكدون أنهم لا يستطيعون ذلك اعتماداً على لغتهم.

دير شبيغل : هل بهذا تفسّرون التأثير القويّ الذي تباشره فلسفتك في البلدان التي تتكلم لغات مشتقّة من اللغة اللاتينية، خصوصاً لدى الفرنسيين ؟

هايدغر : لأنهم يرون أنهم بكلّ عقلانيّتهم الكبيرة، لا يتوصلون إلى أيّ شيء في عالم اليوم، عندما يكون الأمر متعلّقاً بفهم هذا الأخير في مصدر كينونته. إنّ ترجمة الأفكار مثل ترجمة الأشعار، صعبة وعسيرة. بإمكاننا على أقصى تقدير أن نشرحها. حالما نشرع في الترجمة الحرفية، يتغيّر كلّ شيء تغيّراً كاملاً.

دير شبيغل : فكرة لا تبعث على الارتياح أبداً...

هايدغر : الأفضل أن أن نأخذ عدم الإرتياح هذا مأخذ الجد، وعلى نطاق واسع، وأن نفكر في نهاية المطاف في كل نتائج التحول الذي طرأ على الفكر الإغريقي عندما تُرْجم إلى لاتينية روما، وهو حدثٌ لا يزال إلى حد اليوم يمنعنا من الاقتراب الذي نحتاجه لكي نفكر بأمانة في المفاهيم الأساسية للفكر الإغريقي.

دير شبيغل : سعادة الأستاذ، نحن نفضّل دائماً أن ننطلق من النظرة التفاؤليّة، وأن نقول بإن هناك شيئاً يمكن أن يُبلّغ، وأن يُترجمَ، ذلك أنه إذا كان لا بدّ من أن نتخلّى عن هذا التفاؤل الذي يجعلنا نعتقد أنّ محتويات الفكر يمكن أن تبلّغَ إلى ما وراء حدود اللغة، فإن الإقليميّة الضيّقة الأفق هي التي تصبح مهدّدة لنا في هذا الحين...

هايدغر : هل أنتم تسمّون الفكر الإغريقي، لكي نشير إلى الإختلاف مع طريقة التصوّر لدى الإمبراطوريّة الرومانيّة، «بروفانسياليّاً»، أي إقليميّاً ضيّقاً ؟ الرسائل الإداريّة يمكن أن تترجم إلى جميع اللغات. العلم، أعني بذلك أيضاً بالنسبة لنا نحن اليوم علوم الطبيعة، مع الفيزياء الرياضيّة كعلم أساسيٍّ



وجوهريّ، يمكن أن تترجم إلى جميع لغات العالم، وتحديداً ليس ترجمة، بل بإمكاني أن أقول بإنها نفس اللغة الرياضيّة التي يتكلم بها الجميع. ونحن هنا نلامسُ مجالاً واسعاً، ومن الصعب الإحاطة به...

دير شبيغل : ربما يكون هذا جزءاً من موضوعنا : نحن نعيش الآن، وبإمكاننا أن نقول ذلك دونما مبالغة، أزمةَ النظام الديمقراطي البرلماني. هذا نعيشه منذ وقت طويل. ونحن نعيشه هنا في ألمانيا بصفة خاصة، لكنه لا يوجد فقط في ألمانيا، فنحن نجده أيضاً في البلدان الكلاسيكية الديمقراطية، أي في بريطانيا، وفي الولايات المتحدة الأمريكية. في فرنسا لم نعد نسمي ذلك أزمة. والآن سؤالنا : هل بإمكاننا أن ننتظر رغم ذلك من المفكر، حتى ولو كان ذلك بشكل ثانويّ، إشارات لكي يقول لنا إذا ما كان يتوجب علينا تعويض هذا النظام بنظام جديد، وما هي نوعيّة هذا النظام، أو إن إصلاحا مّا يمكن أن يكون ممكناً، وكيف يمكن أن يكون ممكناً ؟ وإلاّ فإننا نظلّ عند هذا الحد الذي يقول بإن الإنسان الذي لم يكن في مدرسة الفلسفة وهذا هو الحال الطبيعي للذين يمسكون بزمام الأمور (حتى ولو أنهم لا يقررون ماهية هذه الأمور) والذين هم أنفسهم سجناء هذه الأمور - يخطئ إذن في النتائج التي يتوصل إليها، أو هو يُحْدث انقطاعات مرعبة في أجوبته ... أليس على الفلسفة مع ذلك أن تقبلَ البحث عن أفكار حول الطريقة التي يُنَظّمُ بها الرجال الحياة المشتركة بين الناس في هذا العالم الذي جعلوه هم أنفسهم عالماً تقنيّاً، وربما كان أقوى منهم ؟ أليس لنا الحق مع ذلك في أن ننتظر من الفلسفة أن تمدّنا بإشارات حول الطريقة التي تُعرض بها حياة مُحتملة، وهل سيلحقُ الفيلسوفَ ضررٌ - حتى ولو كان هذا الضرر طفيفاً - بما يتّصل بمهنته، وبموهبته إذا تكلم حول مسائل كهذه ؟

هايدغر : إلى أبعد مدى يمكن أن أرى، الفرد ليس باستطاعته بواسطة الفكر أن تكون له نظرة جدّ دقيقة، وجدّ صائبة للعالم في شموليّته إلى حدّ يمكنه أن يقدم إشارات عمليّة حول ما الذي يجب أن يعمله وأن يقوم به، خصوصاً في ما يتعلق بمواجهة العمل للعثور قبل كلّ شيء على قاعدة الفكر ذاته. مثل هذا الأمر كثير على الفكر إلى أبعد مدى ستظلّ فيه جديته ورصانته موضع احترام



وثقة الموروث الكبير، كأن يحشر نفسه في ما يتعلق بإعطاء إشارات من هذا الصنف. من أين سيستمدّ شرعيّته في ذلك ؟ في مجال الفكر، ليس هناك إقرارات يمكن أن تكون دالّة على السلطة والنفوذ. المقياس الوحيد الذي يناسب الفكر هو أن يأتي من الشيء ذاته للمُفكَّر فيه. لكن هذا الشيء هو الذي يتوجب علينا أن نسائله قبل كل شيء. ولكي ندرك هذه الوضعية، يتحتم علينا قبل كلّ شيء أن نكشف عن تلك العلاقة القائمة بين الفلسفة والعلوم التي تكشف اليوم نجاحاتُها العملية والتقنية عن فكر بالمعنى الفلسفي أكثر عقماً دائماً. لهذا السبب، يقابل هذه الوضعيّة الصعبة التي وُضع فيها الفكر حتى وهو يواجه عمله الخاص به، حذراً تغذيه وضعية قوة العلوم تجاه هذا الفكر الغريب الذي عليه أن يمنع نفسه من تقديم جواب الحاضر للأسئلة العمليّة المتعلقة بمفهومه للعالم.

دير شبيغل : سيادة الأستاذ...في مجال الفكر، ليس هناك إقرارات دالّة على السلطة والنفوذ، أو هي توحي بذلك. ليس بإمكاننا إذن أن نندهش إذا ما كان الحديث يجد صعوبة في الإدلاء بإقرارات من هذا الصنف. مع ذلك أنت تصفه بـ«التخريبي» ...الفن الحديث يعتبر نفسه في الغالب فنّاً تجريبيّاً. والأعمال التي تمتّ إليه بصلة هي محاولات...

هايدغر : أحبّ أن أتعلم منكم بكلّ طيبة خاطر...

دير شبيغل : هي محاولات للخروج من وضع العزلة التي يعيشها الإنسان والفنان. ومن بين المحاولات المائة، هناك محاولة ناجحة بين وقت وآخر...

هايدغر : وهذا هو السؤال الكبير : أين يَكْمُنُ الفن ؟ وأين مكانه ؟

دير شبيغل : ولكنك تطالب الفن هنا بشيء لا يطالَب به حتى الفكر...

هايدغر : أنا لا أطلب من الفن أيّ شيء. أقول فقط إنّ هناك سؤالاً، وهو أن نعرف ما هو المكان الذي يحتله الفن.

دير شبيغل : وإذا لم يعرف الفنّ مكانه، فهل هذا يعني أنه تخريبي ؟

هايدغر : الغوا هذه الكلمة. لكني أودّ أن أقول بوضوح إنني لا أرى ما هو الطريق الذي يشير إليه الفن الحديث، خصوصاً في العتمة التي نحن فيها،



وفي ما يخصّ المكان حيث يدرك، أو على الأقل يبحث، وهذا يجسّد خصوصية الفن...

دير شبيغل : لا يجد الفنان التزاماً في ما تمّ نقله. بإمكانه أن يجد هذا شيئاً جميلاً، وأن يقول إنه بإمكاننا أن نرسم كما هو الحال قبل 600 عام، أو قبل 300 عام، أو حتى قبل ثلاثين عاماً... أما اليوم فإنه لا يستطيع، أو أن الفنان يمكن أن يكون المزيّف العبقريّ، ونعني بذلك هانس فون ميرغون الذي بإمكانه أن يرسم أفضل من الآخرين. لكن هذا لا يمكن أن يتواصل. وبالتالي فإن النتيجة هي أن الفنان، والكاتب، والشاعر، يجدون أنفسهم في نهاية المطاف في نفس موقع المفكر. كم مرة علينا أن نقول : أغمضْ عينيك !

هايدغر : إذا كان الأطار الذي نختاره لكي نضع في مكانه كلاّ من الفن، والشعر، والفلسفة هو «الحياة الثقافية»، فإننا نستطيع عندئذ أن نتعامل معها جميعاً على قدم المساواة. لكن إذا نحن وضعنا موضعَ سؤال ليس فقط الحياة الثقافية، وأنما أيضاً ما تعنيه كلمة «ثقافة»، فإنّ التأمل في ما يشّكل عندئذ سؤالاً، يدخل في الآن ذاته ضمن مهام الفكر، ذلك الفكر الذي لا يمكنه أن يفكر إلى نهاية الضّيْق الذي هو فيه. إلاّ أن ضيْقه الشديد يتمثّل اليوم، وإلى أبعد ما يمكن أن أرى، في أنه أنه ليس هناك مفكر «كبير» بما يكفي لكي تقود كلمتُه الفكر فوراً، و بشكل واضح، وجليّ أمام شيئه، وتضعه على طريقه. بالنسبة لنا نحن الذين نعيش اليوم، الجزءُ الأكبر الذي علينا أن نفكر هو أكبر من اللزوم. هو وبالتالي أكبر من قدراتنا. ربما يمكن أن نجهد أنفسنا في عبور كهذا : بناء طرق ضيّقة لا تذهب بعيداً...

دير شبيغل : سيادة الأستاذ هايدغر... نشكرك على هذا الحوار.



ميشَال هَارْ

هايْدغَر والشِّعْر

الجمال، الصّبر، وقوّة القراءات المتتالية والغزيرة لهولدرلين وريلكه وتراكل، كلّ هذا يجعلنا ننسى أحياناً أنّ هناك لدى هايدغر بادئ ذي بدء، فكرة جديدة جذريّاً عن الشعر كما هو. إنّ «جوهر الشعر» لا يمكن أن يفهم بانفراد، أو كإسناد أولويّة أنطولوجية لنوع أدبيّ معيّن، لكن فقط انطلاقاً من تشابكه وتلاؤمه مع ثلاثة ميادين تتلاحم ببعضها البعض، ألا وهي : العمل الفني، اللغة، والمقدّس Das Heilige. والقصيدة عمل فنيّ «مادته» أو بالأحرى، عنصره (ذلك أنه علينا أن نعيد النظر في مفهوم كلمة مادة) هي اللغة التي تُعَظّمُ المُقدّس. على الفوْر تبرز أسئلة. كيف ينفي هايدغر، مثلما فعل، عن القصيدة الإحالة أو الرجوع إلى ذاتيّة الشاعر، وإلى تجربته الحياتية، وإلى تاريخه الشخصي؟ كيف تستطيع اللغة أن تتحدث، وأن تتحدث عن نفسها أوّلاً «قبل» الشاعر ؟

كيف نثبت أنّ الشعر يقول بالأساس شيئاً مُقدّساً يمكن أن يكون مستقلاّ عن الدين، وأكثر قدماً من أيّ دين، أي أنه يفهم لا كفضاء سليم، لكن بالأحرى كقوّة إيجابيّة شافية ومُنْقذة ؟ وما هو هذا «الخلاص» من خلال الشعر؟ أليس الشعر بالإضافة إلى كلّ هذا، هروباً رومنطيقيّاً خارج اضطرابات هذا العالم؟ ما يميّز العمل الفني عن الأداة، أو ما يميّز القصيدة عن الإعلان، هو أن العمل الفني لا يتجاوز من أجل وظيفة ما، أو من أجل عمليّة مصلحيّة، مادية الماهية التي صُنع من أجلها. العمل الفني خلق واغتراف من المنابع الأصلية لأنه يبرز



ذاك الذي في الاستعمال الأدواتي للأشياء يظلّ مخفيّاً غائراً : الحبّة، التركيب، التذبذب، أي كلّ ما اصطلح عليه في الميتافيزيقا بالمحسوس. يسترعي العمل الفنّي انتباهنا، من خلال التعبير، إلى العمق المحسوس الذي يكون قد نُسيَ في الأداة بسبب المصلحة التي تُستعمَل من أجلها. ويحاول هايدغر أن يفكر في العمق المحسوس من خلال مفهوم «الأرض» : «ما يأوي إليه العمل الفني ويبرزه من خلال انسحابه، نسمّيه الأرض»، وهو يجعل الأحجار والأخشاب والمعادن والألوان والأصوات متألّقة، ويملأها حيوية. والعمل الشعري بصفة خاصة، يوضّح صدى اللغة، وأيضاً «قوة التسمية لدى الكلمة». وحين يبرز هذه القوة الأصلية للتسمية، وهي قوة تنتسب أساساً لا إلى الشاعر وإنما إلى اللغة، يُظهر الشعر ما يظلّ خفيّاً في اللغة العادية، أي ما يقتصر الناس على استعماله كأداة للتخاطب. كلّ شعر يقول جوهره، وفي نفس الوقت الجوهر الكشّاف للغة، الذي هو «القصيدة الأصليّة»، الحشد الصامت للكائن. والقصيدة تُظهر قدرتَها وقوّتها في إظهار الأشياء والكشف عن العالم، وفي الآن نفسه هي تفعل ذلك. وهذا ما يمْنَحُها سَماكة الأرض وقوّة التأسيس. الشعر، يقول هايدغر، هو «اللغة الأصلية» Ursprache للشعب. وهي اللغة التي تروي ما تكون اللغة في «تراكمها وتكاثرها الأوّلي» قد أوصلته في صمت إلى المنفتح : «إن الشعر هو التسمية التأسيسيّة للكائن ولجوهر كلّ الأشياء - وهو ليس قوْلاً تعسّفيّاً - وإنما هو ذاك الذي بواسطته يتمّ الكشفُ عن كلّ ما نعالجه ونناقشه فيما بعد.أن الشعر هو الذي يبدأ بجعل الكلمة ممكنة» (...)

وحين تصبح الكلمة الشعريّة اللغةَ، وتصبح قدرتها على الانفتاح أيضاً، محسوستين ومسموعتين، فإنها تكشف عندئذ لا عن الأصوات وعن العلامات والإشارات فقط، وإنما أيضاً عن البعد الأساسي لإقامة الإنسان : الكلمة كمعنى محسوس تُقدّرُ اتساع فضاء اللعب بين الأرض والسماء. تجعل اللغة مفتوحاً ذلك الميدان حيث يسكن الإنسان الذي على الأرض وتحت السماء، «بيت العالم». إن الصدى «المادي» للصوت الشعري يُظهر نوعيّة الصلة التي تربط بين الأرض والسماء. وهذه الصلة التي هي أيضاً مكان للإقامة، تُطمَس،



وتُنسَى في اللغة العادية التي تجد نفسها مشغولة فقط بالأهداف العمليّة للتبليغ. وحين تعود إلى نفسها، أي إلى خصائصها الملموسة والمخفيّة عادة، فإن اللغة تعود إلى سلطتها الأصلية، سلطة التسمية والبرهنة. أن نُسمّي الأشياء يعني أن ندعها توجد. فالكلمة لها القدرة على «توليد الأشياء»، وهذه القدرة نُسيت تماماً من قبل اللغة الأدواتيّة. وأن يُظهر الشعرُ الأشياءَ كما لو أنها أعيدت إلى فجر ولادتها، وكما لو أننا «نراها للمرة الأولى» فإن ذاك لا يتأتّى من أنه «يترك المبادرةَ للكلمات» (مالارميه)، وإنما بالأحرى لأن الشعر يجدد مرة أخرى قدرتها وقوتها على الكشف. وهذه القدرة ليست من خيال الشاعر، وإنما هي تنتسب إلى الكشف الذي استكملته اللغة قبل ذلك في صمت. ويكتفي الشاعر ككلّ كائن بأن يقول بعد ذلك ما تقوله اللغة بصوت خافت. على هذه الأساس يمكن تفسيرُ الاهتمام القليل الذي يوليه هايدغر لذاتيّة الشاعر الذي يعظّمُ حقيقة أرض وحقيقة عالم، بدلاً من تجربته. مع ذلك يمكن أن نقول إن الشعر لا يكمن فقط في موسيقا اللغة، وفي قدرتها على الكشف، وإنما في الصور أيضاً. وحول هذه النقطة، كما حول نقاط عديدة أخرى، يمرّ التفسيرُ الهايدغري بهدْم النظريّات الميتافزيقيّة التقليديّة.

إن الصورة الشعريّة ليست نسخة مُنْحطّة للواقع، ولا علاقة تماثليّة فيها بين المحسوس والمعقول، ولا تخصيصاً تجريبيّاً لرسم خياليّ أنتجته ذاتيّة استعلائيّة، ولا تقارباً متجاوزاً للواقع ولأبعاد أقصاها في واقع الأمر العقل والرشاد. إن هايدغر أكثر واقعيّة من أفلاطون، وأرسطو، وكانط. وهو مُتناقض مع فكرة نيتشه، التي أكملها ملارميه، ثم اعتمدها السورياليّون في ما بعد، وتقول إن الشعر خيال خالص. فـ«جوهر الصورة»، يقول هايدغر، هو «أن يجعلنا نرى شيئا ما». والصورة الشعرية ترينا العالم اليومي، إلاّ أنها تريه لنا غريباً. إنها «ترينا اللامرئي»، أي الغرابة، ولغز الحضور في قلب المرئي الأشد بساطة، والأكثر وضوحاً. أو أنها بالأحرى تخفي، في صورة المألوف، ما يتخلّص من العالم العادي. إنها التضمينات اللامرئيّة للغريب في مظهر المألوف. لكن ما هو الغريب ؟ ليس هو فقط الشيء المُحَيّر والشاغل للفكر، لكنه الشيء الآخر تماماً.



إنه انسحاب الكائن والمقدس. إنه الله. الصورة لا تُفسّرُ وإنما تعرض الغرابة فجأة. الله، يقول هولدرلين «جليّ كما السماء». السماء هي صورة الله، وليست شبيهة به.

لكن ما يسمّي الله هنا من قبَل الشاعر، لا يعني بالنسبة لهايدغر أنّ المقدس يتحوّل إلى اسم أوحد، أو أنه يتقلّص إلى صيغة عادية. اللامرئيّ أو المختفي، الذي يظهره الشاعر من خلال مظاهر المرئيّ وهو يتخفّى، يظلّ مجهولاً. إن موضوعة الشعر ليست دقيقة، لكنها تحمل أسماء متعددة، متناقضة أحياناً إلاّ أنها تتطابق : العريقُ في القدم والقادم القريب الذي يصعب الاقتراب منه، والعادي وغير العادي، والامتلاء والخواء، والمشفي والمخيفُ. «المقدس هو المخيف ذاته». ليس هناك شعرٌ كما أنه ليس هناك فكر إلا يكون من خلال اغتراب جذريّ، ومن خلال «عسر»، ضرورة أو شدّة.

يسائل الشاعر المقدس، وهو يطالب به أكثر ممّا هو يستقر فيه أوْ يلجأ إليه. لا يأتي الشاعر بالخلاص إلاّ أنه يحتفظ بعُسْر كامل، هو عُسْرُ عصره، وليس عُسْر حياته الخاصة. وانفعاله ناجعٌ وليس هروباً، إذ أن حزنه ومنفاه وتمرده وعذابه أو فرحه بالمعنى العميق للكلمة، وكل هذه الأحاسيس تنزل إلى أعماق عصره وتتغذى من ينابيعه. وهي التدفق الجديد للتاريخ.



يُورغَن هابرْماس

كيفَ نفكّر مع هايْدغَر ضدّ هايْدغَر؟

لا يهمّنا هايدغر هنا كفيلسوف. إنّ ما سيشغلنا هنا في هذا المقال هو إشعاعه السياسي، وتأثيره ليس على الجدل الدائر في الأوساط الجامعية، وإنما على تكوين وصقل إرادة الطلبة القابلين للتأجّج والتّحمّس. لا توجد العبقريّة دون نوع من اللّبس. وربما كان هيغل على حقّ عندما فكّر في أنّ الأفراد الذين يتجسّد فيهم التاريخ الكوني، لا يمكن أن نحكم عليهم انطلاقاً من المعايير الأخلاقيّة. لكن عندما يساعد هذا اللبسُ على فهم العبقرية، أو أنه بالأحرى يغذّيها، وعندما تؤدي هذه الأخيرة إلى التخريب السياسي، فإن التيقّظَ النقدي للشعب يستعيد في مثل هذه الحال شرعيّته. غير أن هذا النقد ليس من حقه أن يحاكم ما ليس قادراً على إدراكه، أيّ الأحداث الخاصة بالحياة الشخصيّة، حيث تتهيّأ قرارات الفرد وتتشكل. من حقّ أي هذا النقد أن يعطي ببساطة تفسيراً للأسباب المهيئة للظروف التي مهدت لظهور الفوضى والاضطرابات الشعبية، أي للظروف التي لا بدّ من تغييرها لتجنب وقوع مثل تلك الحوادث في المستقبل. ومنذ عام 1945، ومن جهات متعددة، طرحت مسألة هايدغر والفاشيّة. وكان خطاب هايدغر الذي ألقاه عام 1933 في حفل تنصيبه عميداً لجامعة فرايبورغ، وأشاد فيه بـ«التحول العميق لوجود ألمانيا» هو الذي آعتمد أساساً في هذه الجدل. وإذا ما توقف النقد عند هذا الحد، فإنه يظلّ مُبسّطاً. وبالعكس، نحن نرى أنه من المفيد ومن الناجع أن نعرف كيف سمح مؤلف



الكينونة والزمن (وهو أهمّ حدث فلسفيّ بعد فينومينولوجيا الروح لهيغل) لنفسه بالنزول إلى مستوى هذ الفكر البدائيّ الذي يبدو لصاحب النظرة الثّاقبة، ومن الوهلة الأولى، مجرّد كلام تفخيميّ ودونها أناقة في الأسلوب. أقصد بذلك خطاب هايدغر حول تقرير الجامعة الألمانية ذاتيّاً لمصيرها.

إنّ مسألة الأنتلجنسيا الفاشية التي تُطرح في مثل هذه الظروف، تبدو أشدّ إلحاحاً وأشدّ حدّة عندما نستنتج من خلال تفكيرنا بأنه لا يمكن أن توجد أنتلجنسيا فاشية لسبب واحد وبسيط، وهو أن سطحيّة مجموعة أصحاب النفوذ والموظفين المستخدمة في التأطير النازي لم تقبل العروض التي تقدم إليهم المثقفون بها. ورغم ذلك، فإن المفكرين الذين كانت عقلياتهم والمواضيع التي يتطرقون إليها، تتلاءم وتتوافق مع طموحات الفاشية، كانوا موجودين. وليس من المفيد هنا ذكر الأسماء، لأن مثل هذا الأمر سيقودنا إلى سوء الفهم. كانت القوى موجودة وحاضرة. وحده عدمُ اتساع النظرة لدى موظفي التأطير النازي هو الذي قاد هذه القوى إلى المعارضة، بحيث أن «الحركة» في عمليّة تملّصها ممن كانوا يتحمّلون مسؤوليّة التراث الثقافي، استطاعت أن تبيّن بوضوح تام، أن «الاشتراكية القوميّة» ليست سوى حطام ضائع وسط التيّارات الكبيرة لهذا العصر، وأنها دون جذور، وغريبة عن المجتمع الألماني، ومُنْضافة إليه من الخارج. وأمام وضع كهذا ، من المؤكد أنها لم تصدر عن الموروث الألماني أية ردّة فعل ضروريّة وحاسمة.

مع ذلك، لا يجدر بنا أن نستنتجَ أنها خاطئة ومُدانة تلك المحاولات التي تذهب في اتجاه رواية توماس مان الدكتور فاوست، والتي تسعى إلى أن تبحث عن جذور النازية في التقاليد الثقافية الألمانية، وأن تكشف عن تلك النزعات والميول التي تؤدي في مراحل الانهيار والسقوط إلى الفاشية (...)

منذ عام 1945، والوضع في ألمانيا يتميّز بعنصر أساسيّ يتمثل في تجنّب طرح مثل هذا الموضوع (أي موضوع علاقة هايدغر بالنازية). وحول هاتين النقطتين :



1 : شرعية طرح هذا الموضوع

2 : مسألة التملّص والهروب منه، نملك شهادة أدبيّة بالغة الأهمية : كتاب هايدغر مدخل إلى الميتافيزيقا. وهو مجموعة النصوص التي كتبها عام 1935، كما بيّنه نصّ التقديم. وقدكتبت مجموعة الملاحظات المضافة بين قوسين في نفس الفترة. وفي الصفحة 202 يتحدث هايدغر عن القومية الاشتراكية، وعن عظمة هذه الحركة، وعن حقيقتها الداخلية (يقصد بالحركة اللقاء بين التقنية المُتحقّقَة على مستوى كوني وبين الإنسان الحديث).

عندما ننتبه إلى أنّ مثل هذه الأفكار صدرت لأول مرة عام 1953، ودونما أيّ تعليق، فإنه بإمكاننا أن نتصور أنها تنقل بأمانة ما يفكر فيه هايدغر اليوم*. وسيكون من غير الضروري الاستشهاد بعظمة القوميّة الإشتراكية وبحقيقتها الداخلية لولا أنها لم تكن نتيجة لمضمون المحاضرات التي ألقيت في تلك الفترة. إنّ هايدغر يقوم بوضوح بمواجهة سؤال الأسئلة كلّها، سؤال الوجود، وعلاقته بالحركة التاريخيّة لتلك الفترة.

ومعروف أن الحاضر بالنسبة لهايدغر محكوم بمصير نسيان الوجود. أكيد أن الشعوب تقيم من خلال أشغالها وإنتاجها علاقة معيّنة مع الأشياء، لكنها منذ زمن بعيد نزلت من علياء الوجود. لهذا فإننا إذا ما نحن تكلمنا ميتافيزيقيّاً، فإنه يمكننا أن نقول بإننا «نترنّح». وهذا الدّوَار يتأكد بوضوح من خلال مظاهر التقنية. إلاّ أنّ هذه التقنية لم تتطور في الحقيقة بنفس النسق في جميع الأماكن. إنّ أوروبا مثلاً توجد داخل «كمّاشة» ضخمة بين روسيا وأمريكا اللتين تتشابهان في جوهرهما : «هذا الجنون الذي لا نهاية له للتقنية المتوثبة والمندفعة بضراوة، وهذا الإعداد المشوّه للإنسان الذي أصبح خاضعاً للقواعد والقوانين التي لم يعد الزمن بالنسبة لها يعني شيئا آخر سوى السرعة. ينتشر فوق أوروبا من الناحيتين هروبُ الآلهة، وعتمةُ العالم، وإفسادُ الأرض، وتدجينُ الإنسان، وتضخّمُ الكراهيّة، والشكُّ في كلّ ما هو خلاّق وحر. لهذا فإنّ مصير الكون سوف يتقرّر مستقبلاً في أوروبا، وتحديداً في قلب الشعب

* كتب هابرماس هذا النص قبل وفاة هايدغر - المترجم.



الذي يوجد في الوسط، ويتعرّض أكثر من غيره لـ«ضغط الكمّاشة الأشدّ عنفاً»: «إنّ الشعب الذي له العدد الأكبر من الجيران، و مُعرّض بالنتيجة للخطر أكثر من غيره، هو بكلمة الشعب الميتافيزيقي». لكن لا يستطيع الشعب من خلال نزعته هذه، أن يؤسّس لنفسه مصيراً عظيماً إلاّ إذا تمكن من أن يمتلك بطريقة خلاقة تقاليدَهُ وتراثه الخاص. لنوضح ذلك : خلال الحالة السياسية لعام 1935، التي كان الصراع يتشكّل خلالها على جبهتين، أي في نفس الوقت ضدّ الغرب وضدّ الشرق، كان هايدغر يرى بريقَ مرحلة لتاريخ الوجود هيّأتها مسافة زمنيّة تقدّربها يزيد على ألفي عام. مثل هذه المرحلة تمنح الشعب الألماني مهمّة معيّنة في التاريخ الكوني. ولكي نفهم الأسلوب الذي يتجسّد في تلك المحاضرات، وقوّة الإشعاع الذي ينبعث منها، فإنه من الضروري أن نلتقط الجدليّة التي بها يتحدث هايدغر لمستمعيه سنة 1935 ولقرائه سنة 1953. إنه يدعوهم إلى وجود بطوليّ ضدّ الانهيار والرداءة اليوميّة» (...)

ويواصل هابرماس مقاله مشيراً إلى أن ما يمكن أن تستنتجه من جملة مواقف وخطب ومحاضرات هايدغر هوأنه كان يرى أن القوّة هي التي ترفع الفرد الأرستقراطي فوق سوقيّة العامة وخشونتها، وأنّ الأرستقراطي الذي يختار المجد يرتفع إلى مصافّ الأشراف، وينال المنزلة والسلطة اللتين هما أيضاً من مُخْتصّات الوجود ذاته. أمّا العامّة، «الشبعانة كالدواب»، وهي عبارة لطيراقلطيس استشهد بها هايدغر، ووافق عليها، فإنها ليست سوى مجموعة من الحمير والكلاب : «ما هو حقيقي ليس لكلّ الناس، إنه للأقوياء فقط».

ويعتقد هابرماس أن هايدغر ساير النظرية النازية التي كانت تدافع بقوة عن تفوق العرق الآري. ويبرز ذلك من خلال اعتقاده بأن الذكاء يجب أن يُخْضَعَ لإمكانيّات الجسم السليم. وهي فكرة تلتقي مع الأفكار الواردة في علم تحسين النسل في الإيديولوجيا النازية. كما كان هايدغر يرى أن الفكر لا يمكن أن يكون قوياً وفاعلاً ومُترفّعاً عن فكر العامة السطحي إلاّ إذا كان مُسلّحاً بالشجاعة. وهي شجاعة يصفها هابرماس بـ«الغامضة». وهي بحسب رأيه شجاعة «لا تخشى العنف، ولا الخطأ»، وتتماثل مع الشجاعة التي كانت



تحرك النازيين لتحقيق مشروعم السياسي والإيديولوجي. وكان هايدغر يرى أن الفكر الشجاع «يعيد من جديد تشكيلَ الحياة داخل تاريخ الوجود تماماً كما تشكّلت في عهد إغريق ما قبل أفلاطون، وذلك بأن نقول نعم لكلّ بداية حقيقية بكل ما تنطوي عليه من مُخيف، ومن مُبهَم، ومن مُريب. أي أنّ الفرد الشجاع لا يتمكن من إبراز طبيعته الحقيقية إلاّ عندما يعيش في الخطر والمجازفة: إنه الذي يمارس العنف. وهذا العنف هو الذي يسيطر على الكائن وذلك بدفعه إلى أن يقتحم الطريق في خطابه باتجاه ما هو غير مُسمّى، وفي نظرته إلى ما هومخفيّ، وفي فعله إلى ما لم يتمّ إنجازه بعد. والعنف هنا ليس له ذلك المعنى السطحي لـ«التعسّف الحقيقي والبدائي»، بل هو عكس ذلك تماماً. إنّ الإنسان الفزع، الطموح إلى الاتفاق والمصالحة، والمساعدة، والإسعاف، هو الذي يرى في العنف إزعاجاً لحياته، وإرباكاً لها. لهذا السبب لا يفهم مرتكبُ العنف الحقيقي الطيبة والمصالحة والهدوء، وغير ذلك. وهو يرفض كل هذا سواءٌ ناله بنجاح أو بنفوذ. إنه يحتقر مظهر الإنجاز والإكمال. وبمواجهة ما يشغل عامة الناس، يرفع مُرتكبُ العنف مشروعَ المفكر المشيّد والمؤسس. وهو ينتصب فوق الجميع، مُخيفاً في وحدته، وهو أخيراً بدون مخرج. إن «عدم الوجود» بالنسبة له أسمى انتصار على «الوجود». وهو يرى أن الحياة تستكمل بطريقة تراجيدية في «الرضا الأشدّ عمقاً والأكثر انفتاحاً على هلاكه». لذا فهو «يرفض كل مساعدة بفضل إرادته تلك».

ويضيف هابرماس قائلا : «إنّ السؤال الذي نطرحه على درس هايدغر هذا يتمحور حول ما يدعو له، وما ينادي به، وما يقف ضده. ونحن نفهم دونما عناء، انطلاقاً من تجربة كل من هولدرلين ونيتشه، ومع الخطب المهيّجة للعشرينات، وأيضاً مع الاعتقاد الشاذّ، أنه محمّل بمهمّة خاصة وقوميّة، قام هايدغر بدور الأقوياء المختارين ضدّ البورجوازيين، وبدور الفكر الأصليّ ضدّ الحسّ المشترك، وبدور مُحتقر الموت العادي ضدّ الخائف من المجازفة. وهذا يؤدّي بنا إلى القول إن مثل هذا الإنسان لا بدّ أن يلعب في الظروف الخاصّة بالقرن العشرين، دورَ القائد على المستوى الإيديولوجي، وحتى دور الرسول



في الجوّ المتّقد بالانفعالات الذي تميّزت به سنة 1935.

إنّ طريقتنا في معالجة هذه المسألة ليست موضوعيّة، إذ أنها ليست مصوّبة باتجاه منطق هايدغر في تلك الفترة، وإنما باتجاه الأسلوب الذي تجسّد فيه. إلاّ أنها شرعية مع ذلك. وهي تستمدّ شرعيّتها هذه من وجود فعل لتجسّد إرادة له أثر حاسم على المستوى السياسي. والأسلوب الذي يتنزّل فيه هذا النص يتدخل مباشرة في الموضوع. إنه مكان للعدْوى.

ذلك أن الأسلوب هو موقف معيش، منه تنبثق شرارة التكوين العفويّ للسلوك. وهو دائماً المصدر الجديد للحوافز الحياتيّة، ويشعل النداء في كلّ مرّة. إنه خاصّ بالصلة الواعية بالتاريخ - التي هي فلسفة هايدغر - وتقول إن النداء يتغيّر بينما البُنَى بالمعنى الفلسفيّ تحافظ على ثباتها واستقرارها خلال الحقب التي تطورت عبرها. وليس هناك مجال لإبراز تواصل المقولات الأساسيّة لـ«الكينونة والوجود»، ولـ«رسالة حول الإنسيّة»، إلاّ أنها مقابل ذلك، تفرض الطبيعة المتقلبة لنوعية النداء نفسها بنفسها (...).

وفي فقرة أخرى من نصه، يكتب هابرماس قائلا : «تغيّر أسلوب النداء مرتين على الأقل بارتباط مع الوضع السياسي. و لم يتغيّر في نفس الوقت لا الموضوع الثقافي الداعي إلى الإحالة، ولاموضوع الجدل الموجّه ضدّ التدهور والانحلال. وينكشف التلوّنُ الفاشي لتلك الفترة ويتجلى بشراسة في محاضرات 1935. لكن - هذا التلوّن - لا ينتج فقط عن المعطيات الخارجية، وإنما أيضاً عن المعطيات المتصلة بالمنطق نفسه لهذا الذي هو موضع سؤال. وطبقاً لمفهوم تاريخ «الكائن» الذي هو مفهوم هايدغر، يمتدّ تناسي «الكائن» بطريقة متزايدة، ويخترق كلّ الفلسفة الغربيّة من أفلاطون إلى نيتشه. ثلاث انطلاقات تطبع هذا التطور : انتقال «الفكر ما قبل السقراطي» إلى الفكر الأفلاطوني- الأرسطوطاليسي، وانتقال الفكر «الإغريقي» إلى الفكر اللاتيني - الروماني، وأخيراً انتقال الفكر «القروسطي» إلى الفكر الحديث. هايدغر متجذّر في أسئلته، ويُبرز الأصلي. وما يكشفه مذهل. ورغم ذلك فإن مفاهيمه تظلّ في مجملها جزئيّة. وهذا الانطباع الجزئيّ ينشأ عن عيب مضاعف.



إن هايدغر لا يأخذ بعين الاعتبار الجانب التالي، وهو أن إشكاليّته الخاصة ليست مُتميزة على الإطلاق، وإنما هي ظهرت في إطار الفكر الألماني الذي يرجعنا إلى شيلينغ وهولدرلين وهيغل وبومه Boehme. بالإضافة إلى ذلك، يرغب هايدغر في تجاهل نقطة الانطلاق اللاهوتيّة التي هي نقطة انطلاقه. كما يرغب أيضاً في تجاهل أنّ الحياة في التاريخ في كتابه \الكينونة والزمن تُحدّد حقلاً من التجارب المسيحيّة أساساً، يعود أصلها إلى القديس أوغسطين، مروراً بكيركوغارد. وإذا ما غَيّب تجاهلُه لهذيْن العنصريْن دعوتين أساسيّتين، فإن هذا ليس مهمّاً على أيّة حال في نطاق موضوعنا الذي نحن بصدد معالجته. وحالما تصبح المسيحية التي تأصّلت معها الفكرة، التي تقول بإن هناك عالمين متغايرين، لا تمثل سوى مرحلة بسيطة في سيرورة انحلال الغرب وتدهوره، فإن فكرة مساواة البشر جميعاً أمام الله – هذه الفكرة أساسية بالنسبة لهيغل – وفكرة حرية كلّ واحد، لم تعد توفر لنا موازناً ناجحاً، لا موازن المساواة الفرديّة أمام الامتياز الطبيعي للأقوى، ولا موازن الكونيّة في مواجهة الشعب الألماني المختار في التاريخ. وفي موضع ثان، إذا نحن لم نعترف أنه عقب ديكارت، وموازاة لمنهج فكريّ تأسّس على الحساب، وأخضع كلّ الأشياء المتوفرة لهذا الاستعمال أو ذاك، وأن هناك موقفاً آخر، موقف التصور الساذج، والبدائي، والموقف الذي يتوقف عند فهم المعنى، فإننّا لا نعير اهتماماً لجدليّة حركة الافكار في العصر الحديث.

ومثل هذا الجدل يمنح الفكر الذي يطمح إلى أن يُهيْمن من خلال التموضع، شرعيّته الخلاّقة، ويحميها من أن تتطابق مع الرأي العام. وهنا ينقصنا العنصر المصلح للعقلانيّة العمليّة. ألا تكون تغذية عواطف معادية للمسيحيّة، ومعادية للغرب، كافية لاستنفار هوْس من دون عقلانيّة، وهو ما لم يكن هايدغر يرغب فيه. لكن في نفس الوقت، ينضاف وهمٌ بسيط إلى هايدغر، يتمثل في أن آراءه التي كان عليها أن تقود إلى اللقاء بين التقنية المحددة على مستوى كونيّ، وبين الإنسان الحديث، وكان قد عرضها عام 1935 في ظروف تلك الفترة التي كانت بالتحديد فترة تهيمن عليها التقنية، أدّت تلقائيّاً إلى سوء تفاهم، واعتماداً على هذا إلى تزوير



يختلف عن ما كان هايدغر يطمح إليه، أي قهر الحياة التقنية وإخضاعها لإرادة الإنسان. ألا يبدو نداؤه إلى الطلبة، الذي تضمنته فلسفته بادئ ذي بدء، كما لو أنّه يتوافق ويتطابق مع من كانوا يأمرون بتنفيذه كضباط ؟ وبالتأكيد ليس الأمر في أن الدافع له، الحاثّ عليه، واستسلم هايدغر نفسه لإغرائه على مدى سنوات طويلة، هو الذي يسمح لنا بالشك في الطابع الوهمي لهذا التوافق، ولهذا التطابق. ويتبقّى في آخر المطاف سؤالان مُعَلّقان : إلى أيّ شيء يستند هذا التوافق حتى ولو كان وهمياً ؟ هل كانت للنازية علاقات وثيقة بالتراث وبالتقليد الفكري الألماني أكثر ممّا نحن نتصور ؟ ثانياً : ما السبب الذي يجعل هايدغر ينشر محاضرته في عام 1953 دون أن يقيم مسافة بينه وبينها ؟ وإن هوفعل ذلك، فإن هذا الموقف لن يكون مطابقاً لمبادئه إلاّ إذا ما طرح الماضي على بساط البحث، وبصفة دائمة، وهذا عكس ما يرغب فيه هايدغر، باعتباره موضوعاً لم يحنْ أوانه بعد.

وأكثر من هذا، يظلّ هذا الموقف سجين التكرار البسيط والمحض. وهو موقف لا يكون متطابقاً مع مبادئه وأهدافه إلّا في نظر الرأي الذي يبرئ من وجهة نظر تاريخ «الكائن»، ليس فقط الخطأ الشخصي، وإنما أيضاً ودونها توفير نفسير أخلاقيّ، «الخطأ» في أنه ربما كان نازيّاً.

لا يطمح مقالي هذا إلا لطرح سؤال : هل يمكننا أن نفسر القتل المُنَظّم لملايين الناس الذين نعرف اليوم عنهم كلّ شيء، باعتبار أنه خطأ من وجهة نظر تاريخ «الكائن»، الذي فُهم كما لو أنه مصير ؟ أليس القتل المنظم هو الجريمة الفعلية لأولئك الذين ارتكبوها بكل مسؤولية ؟ ألا نجازف الآن، وبعد مضيّ وقت على ذلك، أن نواجه ما حدث، وأن نواجه أيضا ما كنّا ؟ (...)

أعتقد أنه حان الوقت لكي نفكر مع هايدغر ضد هايدغر.



غي بّاسيت

هايْدغَر والعوْدةُ إلَى الإغْر يق

إذا ما نحن استثْنينا الكتاب حول هيرقليطس الذي له شكل خاص، شكّل الحوار مع أوجين فينك، فإننا نستطيع أن نجزم أنه ليس هناك مؤلفٌ واحدٌ من المؤلفات التي صدرت خلال مسيرة هايدغر، خُصّصَ بصفة كاملة وأساسيّة لدراسة واحد من الفلاسفة الإغريق. حدث الأمر ذاته مع دونيس سكوتس، وكانط، وشيلينغ، وهيغل، ونيتشه. إلاّ أن هذه اللامبالاة، أو هذه الوقاحة الظاهريّة، لا تُقْصي البتّة العودة إلى كلّ المراحل في الفكر الإغريقي. ألم يفتتح هايدغر كتابه الشهير : الكينونة والزمن بعد الإهداء إلى هوسرل، بجملة لأفلاطون، وكأنه يريد أن يبيّن لنا أن مشاكل الكينونة والزمن كانت قد طرحت من قبل بصفة شاملة من قبل الفكر الإغريقي ؟ مع ذلك، إذا نحن اقتصرنا على المؤلفات التي صدرت، فإنه يتحتم علينا أن نذكر بأن «دراسات ومحاضرات»، و«المسائل»، تتضمّن تعقيبات على الفلاسفة الإغريق. وهذا يؤكد على أن المجابهة مع الفكر الإغريقي كانت إحدى الخصائص الأساسيّة في فكر هايدغر.

هيراقليطس، بارمينيدس، أنكسيمنريس، أفلاطون، أرسطو طاليس، تنفتح المروحة على «الكبار». لكن ما هي الأسماء الغائبة ؟ زينون، وأفلوطين، والسفسطائيون، والرواقيّون، والأبيقراطيّون. هل علينا أن نؤكد أن هؤلاء جميعاً كانوا غرباء عن ما كان هايدغر يُجْهد نفسه لتوضيحه خلال مسار يَنْصبّ



على المعالم والمنارات أكثر مما يؤدّي مباشرة إلى نقطة محدّدة، مرسومة من قبل؟ لنقدّم بعض المعطيات الخاصة بهذا الأمر. أكيد أن زينون يطرح مسألة الزمن والفضاء، لكن بمفاهيم خطيّة، مفاهيم الانقطاع التي لا تسمح البتّة بتقدم الأشياء أو بالكشف عنها وتوضيحها. لذلك فإن الفكر يتهاوى مع زينون إلى ما تحت السموّ الذي رفَعه إليه كلّ من هيراقليطس وبرمينيدس*. وقد تشبّث السفسطائيون بمسألة اللغة، وهو موضوع على علاقة حميمة بمسألة الكينونة. إلاّ أنهم عالجوا المسألة بعبارات وبمفاهيم أكثر تركيزاً على وظيفة اللغة، وعلى انحرافاتها وضَلالها. وفي كوكبة المؤلفات التي وصلتنا، علينا أن نختار «الأسماء الجيّدة». وليس من قبيل الصدفة أن يختار هايدغر في استشهاداته، ولأكثر من مرة، الحوارين الأفلاطونيين اللذين يدوران حول العديد من التقاليد السفسطائيّة. ولا يتبقى الآن سوى أولئك الذين نسميهم ما بعد الأفلاطونيين. ولكن لمَ أتوا «متأخرين» جداً بالنسبة لهايدغر ؟ ألا يمكن أن تُحْجَب الميتافيزيقا بسبب المحاولة التي قام بها السفسطائيون بخصوص المنطق والأخلاق ؟ إنّ علم الأخلاق يظهر لأول مرة إلى جانب المنطق والفيزياء في مدرسة أفلاطون. وقد ولدت هذه الاختصاصات في الفترة التي تحول فيها الفكر إلى فلسفة.

الحوار إذن لا بدّ من أن يقام مع هيراقليطس وأنكسيمنريس وأفلاطون (ومن خلاله سقراط) وأرسطو. لكن لمَ الحضور الدائم للإغريق في فكر هايدغر؟ ولمَ هذا الجمع : الإغريق ؟ هذا الجمع الذي يبدو وكأنه يُحيلنا إلى عصر أكثر مما يُحيلنا إلى موروث ؟ هل يكون نوعاً من الحنين إلى عالم ربما يكون من الجدير أن يُرَدّ إليه الاعتبار، وأن يُبتكر ويبعث من جديد ؟ أو أن هايدغر ليس سوى مجرّد مؤرخ للفلسفة يهمّه أساساً أن يعيد لنا بجدية وبكفاءة رهيبتين، جدية وكفاءة المحترفين الحقيقيين، الفكر «الأصيل» للمؤلف من خلال نظرة عصره ؟ عندما نقول «الإغريق»، يكتب هايدغر، «نحن نفكر في بداية الفلسفة». والإغريق بهذا المعنى لها صدى آخر غير صدى «اللاتينيين»، و«الألمان»، أو «اليابانيين». إن «الإغريق» بهذا المعنى ليس الامتياز الذي يُمنح لهذا لفيلسوف على حساب

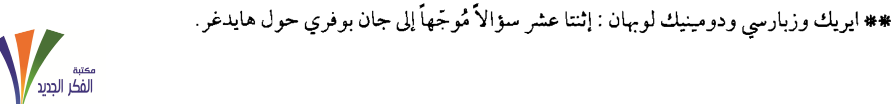
* جان بوفريه : حوار مع هايدغر



فيلسوف آخر. امتياز يمنح مثلاً إلى بارمينيدس على حساب هيراقليطس، أو إلى أفلاطون على حساب أرسطو. الإغريق لفظ يعني أيضاً أن المجابهة ضرورية مع هيراقليطس كما مع بارمينيدس، فكما لو أن هايدغر يحرص على أن يشير إلى أنه من المستحيل أن نكتب ونتحدث عن هذا دون أن نتحدث عن الآخر. وعوض أن يبدو كلّ من هيراقليطس وبارمينيدس كما لو أنهما رفيقان يتجابهان في نزاع تكون نتيجته مُنتصر ومهزوم، أو كما لو أنهما مؤسسان لتقاليد فلسفية متناقضة، فهما يُقَدّمان في فكر هايدغر كفيلسوفين مهَّدَا لظهور وانفتاح الكينونة الفلسفية. وهكذا يصبح الغرض من مجابهة هايدغر للإغريق هو البحث عن أسس الفلسفة، ولا شيء آخر غير ذلك.

حين سأل كلّ من إيريك روبارسي ودومينيك لوبهان جان بوفري المتخصص في فلسفة هايدغر : «لماذا العودة الدائمة إلى الإغريق في فكر هايدغر ؟» أجاب : «لأن الإغريق كانوا من دون علم منهم، المهندسين الأوائل للكينونة»**. من هنا، يبدو واضحاً أن مسار هايدغر لم يكن مسارَ مؤرخ الفلسفة المهتمّ بإعادة ترميم النظام الفلسفي القديم، وإنما هومسار مؤرخ فكر، منصبّ أساساً على دراسة الميتافيزيقا. وليس مُهمّاً في مثل هذه الحالة ألاّ يتبقّى اليوم في معبد «أيفيزوس» الذي يعشقه هيراقليطس، سوى قواعد البناء وأركانه. اعتماداً على هذا، يمكن القول إن أوجين فينك على حقّ عندما أعلن في الحلقة الدراسية المخصصة لهيراقليطس : «نستطيع من خلال حوار مارتين هايدغر مع الإغريق في العديد من مؤلفاته، أن نتعلّمَ كيف أن الأبْعدَ يصبح قريباً، وأن الأليف يصبح غريباً، وكيف أنه من الصعب بالنسبة لنا أن نصل إلى نهاية تأويل أو تفسير أكّده الإغريق، وأن نستريح إليه. إن الإغريق بالنسبة لنا تحدّ هائل ومخيف».

فلاسفة آخرون حاولوا، كلّ واحد منهم في عصره، أن يجابهوا هذا التحدي. نيتشه وهيغل مثلاً. كل واحد منهما ينتسب إلى عالم هايدغر، إلاّ أن هذين الفيلسوفين يحيلاننا إلى نهاية الفلسفة، وليس إلى بدايتها مثلما فعل



** ايريك وزبارسي ودومينيك لوبهان : إثنتا عشر سؤالاً مُوجّهاً إلى جان بوفري حول هايدغر.



هايدغر. «هيغل والإغريق»،«نيتشه والإغريق»، ألا يكون هذا شبيهاً، و مختلفاً مع ذلك عن قولنا «كانط والإغريق»، أو «لايبنيتز والإغريق» ؟ لماذا ؟ ذلك أن هيغل فَكّر في الفلسفة الإغريقية كما لو أنها وحدة متكاملة.ألم يحاول كلّ من هايدغر ونيتشه، تماماً مثلما حاول هيغل، تجاوز الفلسفة بشكل معيّن ؟ مثل هذا السؤال يتكرر دائماً في الحلقة الفلسفية، وفي كلّ مرة يَثبُ بحدّة الصدمة وعنفها. «لهذا فإن العودة إلى الإغريق لا يكون لها معنى إلاّ كتجاوز للفلسفة الإغريقية. والتجاوز هنا لا يعني أن نتبيّن فلسفة أسْمَى من فلسفة الإغريق، وإنما أن نسعى إلى أن نتسّرب إلى جوهر فكرهم، وأن نصل إليه».



جَانْ بوفْريه

رينيه شَارْ وهايْدغَر في ظلاَل شجَرة الكسْتنَاء

قام مارتن هايدغر في مطلع الخمسينات من القرن الماضي، فارّاً من التهجّمات العنيفة التي كان يتعرّض إليها بسبب تعاطفه مع النازيّة خصوصاً في بداياتها، بزيارة إلى فرنسا التي كان فلاسفتها ومثقّفوها الكبار يجاهرون بإعجابهم الشديد بفلسفته الوجوديّة. مع ذلك فضّل عدم الالتقاء بأيّ أحد من هؤلاء. ومصحوباً بصديقه ومترجمه إلى اللغة الفرنسيّة، جان بوفريه، اختار زيارة الشّاعر الكبير رينيه شارْ الذي كان يقيم آنذاك في مسقط رأسه «ليلْ سور- سورغ» بجنوب فرنسا، بعيداً عن صخب باريس. في القرية الصّغيرة الهادئة، التقى الشاعر بالفيلسوف. وتحت شجرة كستناء وارفة الظّلال، حول طاولة وضع عليها الجبن والخبز والنبيذ، دار حوار طويل بينهما حول الشعر والفلسفة.

وكما هو معلوم، كان هايدغر عاشقاً للبعض من مشاهير الشعراء الألمان من أمثال هولدرلين، وغيورغ تراكل، وشيلّر، وراينار ماريا ريلكه، وكتب عنهم دراسات في غاية العمق والأهميّة.

من المؤكّد أنه كان مُعجباً أيضا برينيه شارْ. وهذا ما يفسّر حرصه على الالتقاء به، والتحدّث إليه. ولا شكّ في أن رينيه شارْ كان مطّلعاً على فلسفة هايدغر، وعارفاً بـ«ماضيه النّازي». مع ذلك لم يبد أيّ تردّد في استقباله، هو الذي كان قائداً لحركة المقاومة خلال الاحتلال الألماني لبلاده. وقد دوّن جان بوفريه وقائع ذلك الحوار العميق بين الفيلسوف والشاعر ليكون وثيقة هامّة



وأساسيّة في ما يتّصل بالعلاقة بين الفلسفة والشعر.

وقد كتب جان بوفريه يقول : «تحت أغصان شجرة كستناء في «مينيلمونتون»، فيلسوف وشاعر يتحدثان عن ما يعرفانه، وعن الصورة التي عليها كلّ واحدمنهما. مارتين هايدغر ورينيه شارْ يتعلمان لغة حوارهما. باريس في عطلة. نحن في عام 1955. «خلال رحلتي إلى فرنسا، سأكون سعيداً جداً بالتعرف على جورج براك ورينيه شار»،كتب هايدغر.

ليس هناك شيء أشدّ مخاطرة من مَفْرق طرق. لكن وليل الصيف يهبط، هنا يشعّ بنور بهيّ على الطاولة، الخبز والنبيذ*

ورغم الانفصال بين الكيانات واللغات، حَصُل التفاهم. إنه الحوار بين الشعر والفلسفة. والفكر انطلاقاً من معناه العميق حوار. وهو يسعى أن يتموْقع من خلال الحوار مع أولئك الباحثين عن موقع، الذين هم المفكّرون منذ البدء. أرسطو من هذا الجانب، وحتى الجانب الآخر، هو حواره مع أفلاطون. والحوار الهيغلي (نسبة إلى هيغل) هو مسعى للانفتاح على شموليّة الكلمة. إلاّ أن الكلمة ليست فقط كلمة الفكر. أكثر قدماً من الكلمة العقليّة للمفكّر، رنّت الكلمة الشّعريّة. والتقت كلمة هوميروس بالجوهري والأساسيّ قبل هيرقليطس. وهي مؤسِّسة لموقع، هو موقع العالم الإغريقي، حيث نشأت الفلسفة. وقبل الفلسفة بوقت مديد، فتحت الحكمةُ الفضَاءَ الذي بداخله كما يقول هزيود، «واجهت الآلهةُ الناس». لكن لمَ الكلمة مُفَكّرة أكثر من أن تكون شعرية ؟ وأيّ مصدر لهذه الازدواجية التي لها ؟ «ما هو بروز يلذّ له أن يكون غائراً ومُنْسحباً. وهيراقليطس يقول لنا إن على السؤال أن يظلّ من دون جواب. وأقصى ما يمكن أن نقوم به هو هل بإمكاننا أن نحاول إيجاد تواصل بيننا وبين إزدواجيّة الكلمة.

إيجاد تواصل يعني الدخول في أبعاد والحوار. والحوار لا يسعى أبداً إلى التقليص من قيمة الآخر، أو التّنقيص من شأنه مثلما تفعل الفلسفة المتعالية

* بيت من قصيدة لغيورغ تراكل



في ادّعائها بأنّها تضيف إلى مجمل إنقاصاتها، إستيتيقا تجعل الشعر في النهاية موضوعاً لتفسير الفلسفة، وإنّما هو - أي الحوار - يحرص على السّماح له بأن يكون. لذلك يقول رينيه شارْ بإنّ «هايدغر هو أوّل كائن من هذا الصنف لم يحاول أن يفسّر لي من أنا، وماذا أفعل». هايدغر ينصت أكثر ممّا يُفسّر. ومن هذا الإنصات الذي يلامس حدود الصّمت، تولد محاولة التّواصل من دون جواب، إذ أنّ الجواب كان قد حوّل ما يمكن التفكير فيه إلى مشكلة، أي، كما يوضّح ذلك لايبنيتز، إلى مقترح «يترك جزءاً منه فقط للبياض...تماماً مثلما نحن نطلب العثور على مرآة تلتقط كلّ انعكاسات أشعّة الشّمس في نقطة واحدة». الشّاعر هو بالتّأكيد تلك المرآة. لكن من دون توجّب العثور عليه. وإذْ لم يتوقّف أبداً عن التّواري والتّخفّي بهذه الطريقة، فإنه يمثّل خطراً على الفكر، لكنه قد يكون خطراً لا ينفي الخلاص».

ويرى جان بوفريه أن هناك ثلاثة مخاطر تهدّد الفكر :

- الخطر المدهش ومنذئذ المنقذ، هو مجاورة الشاعر، والاقتراب من نشيده.

- الخطر الماكر، والاشدّ حدّة وشراسة من كل المخاطر هو الفكر نفسه، إذ عليه أن يفكر ضدّ مقاييسه، وهو ما لا يعرفه إلاّ نادراً.

- والخطر الضّارّ والمفسد الذي يشوّش كلّ شيْء، أي أن يتفلسف.

هكذا يتحدث هايدغر إلى نفسه عندما «فجأة تعصف الريح، مزمجرة في هيكل البيت الخشبي، ويكون الطقس قد فَسُد». وهنا يستشهد جان بوفريه بجملة لهايدغر فيها يقول : «الحوار مع الشّعر، إذا كان حواراً ينطلق من الفكر، يكون دائماً في خطر يهددّ بتعكير صفاء القصيدة الشعريّة عوض أن يَتْرك لها رَوْعة صوتها». لذلك، يكون الحوار بين الشاعر والشاعر أقلّ خطراً من الحوار بين الفيلسوف والشّاعر. هكذا كان هولدرلين في ترجماته لـ«أوديب الملك»، ولـ«أنتيغون»، والملاحظات المصاحبة للترجمتين، في حوار مع سوفوقليس. وهكذا فتح رُونْسار حواراً مع الشعراء الإغريق، مثلما فعل راسين مع أوريبيدوس، أو فيكتور هوغو مع فيرجيل. ويرى جان بوفريه أن حوارات رينيه شارْ مع شعراء آخرين من أمثال هوغو، ورامبو، وبودلير، ومالاّرميه لا

تقلّ أهمية عن الحوارات الذكورة آنفَا. لكن ألا تفتح محاولتَا الحوار اللتان تحدث عنهما هايدغر، أيْ حوار الشاعر مع الشاعر، وحوار الفكر مع الشعر، البابَ لمحاولة ثالثة قد تكون حوار الشعر مع الفكر ؟ وفي الاجابة عن هذا السؤال، يقول جان بوفريه، مُستنداً دائماً إلى فلسفة هايدغر، بإن الشعر في تاريخه يبدو أحياناً كما لو أنه مُتحالف مع عمل الفكر. وعرف الشعرُ من دون أن يتوقف على أن يكون شعراً، كيف يعثر على الطريقة التي تخوّل له أن يكون مُصيباً فكريّاً. وهذا ما تثبته قصيدة بارمينيدس الشهيرة. فرغم الصبغة العقلانية التي تميّزت بها، فإن هذه القصيدة حافظت على شعريّتها، وعلى موسيقاها الداخليّة. ويرى جان بوفريه أن مقولات هيراقليطس كانت «مسكونة بالشعر» أيضاً. وجميعها كانت تنفذ إلى القلب مثل بيت شعريّ خارق «من دون أن تظلّ بعيدة عن هدفها، ومن دون أن تضيع في ما وراء الكواكب». ويضيف جان بوفريه قائلاً : «حين تكون الكلمة كلمة، أي نداء، فإنّ القصيدة لن تكون عدّوة لما هوعقليّ، وإنما أليفتَه، وجارتَه حتى وإن لم تكن علاقات الجوار الأفضل دائماً. أما حين تتشكل الكلمة بعد أن تكون قد أصبحت تعبيراً وتفسيراً بشكل منظم ومرتب لتصبح مُقترحاً، فإن الشاعر يكون في نظر الفيلسوف مجرّد مُتَطفل على اللغة. عندئذ كيف يمكن للشعر أن يقيم حواراً مع الفكر؟».

ومُعتمداً دائماً على هايدغر، يشير جان بوفريه إلى أنّ الفكر اليوم أصبح «لغة حزينة»، وهو - أي الفكر - لا يستعيد حيويته إلاّ في السجالات. لذلك فإن الشعر إذا ما هوسعَى إلى ملاقاة الفكر، فإنه لن يعثر على أيّ شيء أبداً في الفلسفة المعاصرة التي تدور حول فلك العلوم بصفة عامة، وبمزيد من الاضطراب واللبس حول فلك العلوم الاجتماعية. وذاك كان خطأ السورياليين الذين ظنوا أن انفتاح الشعر على الفلسفة قد يكون ممكناً ومفيداً.

ثم ينتقل جان بوفريه إلى تحديد الفرق بين الفكر والفلسفة، ويكتب قائلا: «يقول هايدغر بإنه ليس هناك خط عبورمن الفكر إلى العلم، وإنه ليس بإمكاننا أن نقوم إلاّ بقفزة. والفلسفة مثل العلم ليست الفكر. وهي فقط ما كان قدعلّمنا إيّاه هيغل «نمط خاص من الفكر، بواسطته يصبح الفكر معرفة، أي



معرفة تعتمد على المفاهيم». ذلك هوالفكر كفلسفة. أن تكون الفلسفة بالنسبة لهيغل، الشكلَ المكتملَ للفكر، هذا أمر بديهي، لكن هل هذه البداهة كافية ؟ أليس بالإمكان أن يوجد فكر يكون له عمق من دون أن يكون فلسفة، باعتبار أن هيراقليطس لم يكن قد أصبح فيلسوفاً بالمعنى الحقيقي للكلمة، أو مثلما أشار هايدغر إلى ذلك في «رسالة إلى الأنسيّة»، بأن «تراجيديّات سوفوقليس وكلماتها تأوي روح الشعب أكثر من دروس أرسطو حول علم الأخلاق». ويضيف جان بوفريه قائلا بأن الفكر يصبح أكثر صواباً لا بالإنشغال دائماً بالفلسفة، وإنما بالإنفصال عنها. وهويصبح كذلك من خلال ما سمّاة هايدغر بـ«تدمير الفلسفة». والتدمير هنا له نفس المعنى في قصيدة رينيه شارْ التي يقول فيها : «في النهاية، إذا ما أنت دمّرتَ، فليكن ذلك بأدوات عُرسيّة». وإذن يمكن للشعر بحسب رينيه شارْ أن يكون مولّداً لأفكار فلسفيّة من خلال ما يسمّيه «التّدمير العرسيّ» الذي مارسه رامبو بحيث لم «يعد الشعر يُوَقّع الفعل، بل أصبح مُتقدماً عليه».

ويضيف جان بوفريه قائلا : «البون الشّاسع بين الشعر والفكر قد يعود إلى أن الشّعر كان موجوداً في حين أن الفكر لم يشرع بعد في التّفكير، أو بالأحرى لم ينبثق الفكر إلاّ لكي ينحدر في الحين إلى الفلسفة، أي إلى الميتافيزيقا. الحوار مع الشعر لا يمكن أن ينطلق إلاّ من فكر بالكاد يكون مُبلوراً. والشّعر يمكن أن يكون فكراً متحرّراً في النهاية من الميتافيزيقا ومن آلة مفاهيمها. ولا يمكن أن تكون القصيدة معبّرة عن نفسها، وعن ماهية الشعر إلاّ مع هذا الصّنف من الفكر». ومرّة أخرى يستشهد جان بوفريه بهايدغر الذي يقول : «مصير العالم يُعْلن عن نفسه في أعمال الشّعراء من دون أن يكون قد ظهر وتجلّى كتاريخ للكينونة». وتحت شجرة الكستناء، قال رينيه شارْ في حواره مع هايدغر : «القصيدة لا ذاكرة لها. وما أنا مطالب به هو أن أمضي إلى الأمام». وكان قد قال قبل ذلك : «الشعر هومن بين كلّ المياه الصافية، أقلّ ما يبطئ عند انعكاسات جسوره». كما قال : «مع كلّ انهيار للحُجج والبراهين، يجيب الشاعر برشقات من المستقبل».

ويختم جان بوفريه نصه قائلاً : «هكذا التقى، ذات مرة في مساء صيف،



اثنان مختلفان من نفس الجنس والاثنان موْسُومان بوحدة متلألئة، إذ أنهما لا يختلفان إلاّ في همّ واحد، ألا وهو الاحتراس من الكلمات لكي تكون كلاماً».



هايدغَر والنّازية

هل انتسب هايدغر إلى «القومية الاشتراكية» بزعامة أدولف هتلر، وساند توجهاتها الفكريّة والسياسيّة ؟ هذا هو السؤال الذي لا يزال يشغل الأوساط الفكرية والفلسفية لا في أوروبا وحدها، بل في الكثير من بلدان العالم. وقد صدرت العديد من الكتب والملفات حول هذه القضية. وثمة من قدّم براهين وأدلة على تورّط هايدغر مع النازيين، وقام آخرون بتبرئته من هذه التهمة الخطيرة.

هنا فقرات من خطب ألقاها هايدغر اعتمد عليها المناهضون له لاتهامه بالانحياز للنازية.

* فقرة من خطاب ألقاه هايدغر أمام طلبة جامعة فرايبورغ في 18 مايو-أيّار 1933 :

«عقب ما ورد في خطاب المستشار (يقصد هتلر)، أؤكد أن للشعوب الحرية في أن تختار الطريق الذي يلائمها. أمّا بالنسبة لنا نحن، فقد قررنا بحزم أن نسير في الطريق الصعب الذي أجبرنا على السير فيه، وفاء منّا لمسؤوليتنا أمام التاريخ. ونحن نعلم أن مُسلّمات هذا القرار هي :

- التهيؤ إلى حدود الممكن والرفاقيّة إلى آخر درجة.

- فلنسرع الآن في العمل وليكنْ عمل هذا الفصل، صغيراً كان أم كبيراً، مُوجّهاً إلى هذا التهيؤ وإلى الرفاقية.»



* كلمة هايدغر في ذكرى ألبير شلاغتار[7]

«علينا أثناء عملنا، خلال فترات الاستراحة القصيرة، أن نتذكر طالب جامعة فرايبورغ، ألبير شلاغتار الذي مات بطلاً ألمانيّاً شاباً قبل عشر سنوات، وكان موته الأصعبَ والأعظم. إننا نريد وفاء لشرفه، أن نتأمّل ونتمعّن قليلاً في هذا الموت، ومن خلال هذا الموت نرغب في أن نفهم حياتنا. كان موت شلاغتار، الموتَ الأصعبَ، لا في الخطوط الأماميّة للجبهة على رأس سريّة مدفعيّة، ولا في وثبات الهجوم، أو في استبسال وضراوة الدفاع، ولكن لأنه مات واقفاً ودونما سلاح أمام البنادق الفرنسيّة. مع ذلك، واجه وتحمّل الاختبار الأشدّ عُسراً. وهذا كان يمكن أن يُحتمل في ضجة الفرح لو أنّ انتصاراً تحقق، ولو أنّ عظمة الأمة التي بدأت تنهض، أشرقت. لكن عوض هذا، ها نحن أمام الظلمات والخيانة والمهانة. لهذا السبب، كان عليه أن يستكمل الفعل الأعظم والأصعب. وكان عليه أن يستخرج وحده صورةَ الانتفاضة القادمة للشعب، من أجل شرفه وعظمته، وأن يتمثلها لكي يموت وهو مؤمن أشدّ الإيمان بذلك. من أين جاءت صلابة هذه الإرادة لكي يتحمّل الأصعب ؟ من أين له صفاء هذا القلب لكي يتمثّل ما هو أعظم وأبعد ؟ يا طالب فرايبورغ! أيها الطالب الألماني ! عليك أن تحتذي به، واعلمْ أنك حين تلمس بقدميك خلال تجوالك ومسيرتك الطويلة، الأراضي، والجبالَ والغابات والأودية في «الغابة السوداء»، فأنت تلمسُ الأرض التي أنجبت هذا البطل (...) دونما سلاح، أطلق البطل نظراته مُتَحدّياً البنادق الموجهة إليه، وعانق النهار وجبال موطنه لكي يموت وعيناه مثبتتان على الأرض الألمانية، وعلى الشعب الألماني، وعلى الرايخ !»

* ملخّص محاضرة ألقاها هايدغر في هايدلبارغ يوم 30 حزيران - يونيو 1933 :

«لنا الآن الرايخ. ولنا الجامعة، هذه الجامعة التي يجب أن تتقبل مهامّها

7. ألبير شلاغتار : اتخذه النازيون بطلاً مثالياً لأنه كان من الذين رفضوا الهزيمة عام 1918 والمهانة الناتجة عن قرارات «فارساي».



وأعمالها من إرادة ووجود الرايخ. إنها الثورة في ألمانيا، وعلينا أن نتساءل : هل هي الثورة أيضاً في الجامعة ؟ لا، لم يتجاوز الصراع لم يتجاوز إلى حدّ الآن بعض المناوشات التمهيدية، ولم يحدُث حتى هذا الوقت سوى تقدم : من خلال تهيئة حياة جديدة في معسكرات العمل، وفي التجمّعات التعليميّة، أزَحْنا عن المدرسة العليا بعض المهامّ التربويّة التي كانت تقوم بها وحدها قبل هذا الوقت. ومُحْتمل أن تموت الجامعة بسبب النسيان، وأن تفقد ما تبقّى لها من قوّة تعليميّة وتربويّة. ولكن لا بدّ للجامعة أن تندمج من جديد بمجموع الشعب، وأن ترتبط بالدولة. على الجامعة أن تصبح من جديد قوة تربويّة ترفع من خلال العلم الطبقة الحاكمة في الدولة إلى مستوى العلم(...). ولقد سمعنا البعض يقول : «العلم في خطر بسبب ضياع الوقت الناتج عن تمارين الدفاع» الخ...لكن ماذا يعني «ضياع الوقت» إذا ما كان الأمر يتعلق فقط بضرورة الدفاع عن الدولة، ومن أجلها ؟ لا يمكن أن ياتي من العمل من أجل الدولة أيُّ خطره سيأتي الخطر فقط من اللامبلاة بالصمود وبالمواجهة. لذا لا بدّ أن تتوفر للقوّة الأصليّة والحقيقية وحدها إمكانيّةُ الانطلاق في الطريق المستقيم. ولا يجب أن يكون هناك مكان للحلول الوسطيّة. إن الشجاعة الجديدة تبرز بوضوح كلّ هذه المخاطر. وهي وحدها القادرة على أن تفتح البصر على كلّ ما هو كائن وما سيكون. وهي تجبر كلّ معلم وكل طالب على أن يَحْسمَ في المسائل الأساسيّة للعلم. ومثل هذا القرار قديم جدّاً. ذلك أنه وحده يكشف لنا، نحن الألمان إن نحن كنّا نرغب حقّا في أن نظلّ «شعب علم» في المعنى الأسْمَى للكلمة، أنّ التعليم الجديد لا يعني فقط إسهام المعارف وحده، ولكن يعني أن ندع الناس يتعلمون، وأن نحثهم على أن يتعلموا.





مكتبة
الفكر الجديد

هانّا آرنَدْت

الملِكُ السِّريُّ للفلْسَفة

«في نفس الوقت الذي احتفل فيه هايدغر بعيد ميلاده الثمانين، احتفل أيضاً بمرور 50 عاماً على توليه مهنة أستاذ الفلسفة. وقد قال أفلاطون ذات يوم: «ذلك أن البداية هي أيضاً إله ينقذ كلّ شيء طالما مكث بين الناس».

فليسْمَحْ لي إذن أن أبدأ من البداية. وأنا لا أقصد من هذه البداية سنة ولادته (1889) في «ماسكيرش»، وإنما سنة 1919، أي سنة تعيينه أستاذاً للفلسفة في جامعة «فرايبورغ»، ودخوله إلى الحياة الأكاديميّة الألمانيّة. ذلك أن شهرة هايدغر كانت أقدم من كتابه الشهير : \الكينونة و\الزمن الصادر سنة 1927. بل إنه باستطاعتنا أن نتساءل إذا ما كان ذلك النجاح الغريب للكتاب-ليس الانطباع الذي أحدثه فور صدوره، لكن بالأحرى تأثيره الخارق على المدى البعيد، الذي لا يضاهيه فيه سوى عدد قليل من المؤلفات في هذا القرن- ممكناً لولا النجاح الأكاديمي الذي سبقه، لم يأت الكتاب الآنف الذكر إلاّ ليؤكده في أذهان طلبة تلك الفترة.

لقد حدث شيء غريب في هذا المجد الأول، ربما أكثر من ذلك الذي أحدثته شهرة كافكا في العشرينات، أو بْراك وبيكاسو في فترة لاحقة. فهؤلاء أيضاً، أي كافكا وبْراك وبيكاسو، كانوا مجهولين من قبل الجمهور، في المعنى العادي للكلمة، إلاّ أنّ تأثيرهم رغم ذلك كان خارقاً. أمّا بالنسبة لهايدغر فلم يكن هناك شيء يستند إليه للحصول على الشهرة. ولم يكن قد كتب مؤلفاً



واحداً، كان يقتصر على بعض الملاحظات المسجّلة خلال المحاضرات، والتي كان يتداولها الطلبة. كانت تلك المحاضرات تعالج نصوصاً معروفة عالميّاً، ولم تكن تنطوي على أيّة نظريّة خاصّة. ولم يكن هناك غير الاسم. وهذا الاسم كان يسافر عبر ألمانيا بأسرها مثل خبر الملك السريّ. ولم يكن ذلك يعني مطلقاً تلك «الحلقات» المركزّة على «مُعلّم» يقودها ويوجّهها (مثل حلقة الشاعر ستيفان غيورغ). ومثل هذه الحلقات المعروفة جيّداً من قبل الجمهور، كانت حلقة تحتمي من هذا الأخير، مُتَخفية وراء هالة من غرابة يزعم أصحاب الحلقة أنهم وحدهم العارفون بها. في ما يخصّ هايدغر، لم تكن هناك غرابة ولا مريدون. والذين بلغهم الخبر كانوا يتعارفون دونما شك لأنهم طلبة. والبعض منهم تصادقوا. وفي ما بعد، ظهرت هنا وهناك بعض الزّمَر المتحمسة لما يَردُ في محاضرات هايدغر. لكن لم تبرز تلك الزّمَر أبداً على قاعدة حلقة. كما لم يكن هناك شيء باطنيّ أو سريّ. من هم الذين كان الخبر يصلهم ؟ وماذا كانوا يقولون ؟

في تلك الفترة، عقب الحرب الكونيّة الأولى، كان يهيْمن على الجامعات الألمانية شعور، لا بالتمرّد، وإنما بالانزعاج الشديد. وقد طغى هذا الشعور على جميع المؤسسات العلميّة من دون استثناء، وعلى جميع الطلبة بمختلف مستوياتهم، وأيضاً على الجهاز التعليمي. ولم تكن الفلسفة توفر مهنة تساعد على العيش. بل إنها كانت بالأحرى الاختصاص الذي يختاره أولئك الذين يعرفون أنهم سيلاقون متاعب كثيرة في حياتهم. وكانت طرق تدريس الفلسفة مُتخلّفة للغاية، بحيث أنها لم تكن تفي بحاجة من يريد إدراك الأشياء والعالم الذي من حوله. وكانت الدروس الفلسفيّة حول المعرفة، وحول الجمال والمنطق، مُضجرة إلى أبعد حدود الضجر. ولمقاومة هذه الوضعيّة المأساويّة، ظهر قبل هايدغر بعض المتمردين. وبحسب التسلسل التاريخي يمكن أن نذكر هوسرل، ونداءه من أجل «الذهاب إلى الأشياء ذاتها». وهذا كان يعني : لنترك النظريّات والكتب ولنتناول الفلسفة كما لو أنها علم دقيق يحظى بمكانته إلى جانب العلوم الأكاديميّة الأخرى. وكان مثل هذا الكلام جدّ ساذج، وخالياً من أيّة دعوة



إلى التمرد، غير أنه كان على أيّة حال شيئاً استند إليه شيلار ثم هايدغر في ما بعد. بعد ذلك، في هايدلبارغ ظهر أحد المتمردين الفعليين، وهو كارل ياسبرس الذي كانت تربطه بهايدغر،كما نحن نعلم، علاقة صداقة امتدت إلى فترة طويلة. والسبب هو أن طموح هايدغر كان يتضمن هذا «التمرّد» الذي كان ياسبرس يرى فيه شيئاً فلسفيّاً راديكاليّاً وسط الثرثرة الأكاديمية حول الفلسفة.

ما كان يجمع بين عدد قليل من الفلاسفة - حتى نستعمل هنا كلمات هايدغر نفسه - هو أنهم تمكنوا من أن يميّزوا بين «موضوع المعرفة والموضوع المُفَكّر فيه»، مظهرين إلى حدّ ما نوعاً من اللامبالاة تجاه موضوع المعرفة. والخبر بَلغَ عندئذ أولئك الذين كانوا على علم بشيء من الوضوح بالقطيعة داخل الموروث وبـ«الأزمنة المظلمة» التي بدأت تتجلّى في الأفق : الذين كانوا بناء على ذلك يعتبرون التعمق في معرفة أشياء الفلسفة ضرباً من اللغو، ولم يكونوا مستعدين بالتالي للرضوخ إلى النظام الأكاديمي إلاّ لأنه يتوافق بالنسبة لهم مع «الشيء المُفكّر فيه»، أو مثل ما يمكن أن يقول هايدغر اليوم، «شيء الفكر». والخبر الذي يجذبهم إلى فرايبورغ، ثم في ما بعدإلى ماربورغ، يقول : هناك أحد ما توصّل بالفعل إلى الأشياء التي كان هوسرل قد أعلن عنها، وهو يعرف أنها ليست من المهام الأكاديميّة، وإنما من مهام الرجل الذي يفكر. وأن هذا الأمر ليس في الحقيقة وليدَ الأمس أو اليوم، وإنما هو قائم منذ أمد بعيد. كما أن هذا الرجل يؤكد أنه بإمكانه أن يكتشف الماضي من جديد حتى لو أن الحبل السريّ مع التقليد القديم قد قطع بالنسبة له تماماً. وهويقول مثلاً إننا عوض أن نتحدث عن أفلاطون، وأن نستعرض نظريّة أفكاره، يتوجب علينا أن نقيم لمدة فصل دراسيّ كامل، حواراً يتواصل خطوة خطوة حتى تغيب تماماً تلك النظريّة التي عُمرها ألف سنة، فلا تتبقى منها غير إشكالية حاضرة بعظمة وجلال. إنّ مثل هذا الأمر يبدو لنا الآن عادياً ومألوفاً. كثيرون ينهجون اليوم مثل هذا المنهج. لكن قبل هايدغر لم يكن هناك أحد قد قام بمثل هذا العمل على الإطلاق. ويقول الخبر أيضاً بكلّ بساطة : إنّ الفكر استعاد حيويّته. إنه يتحدث عن تلك الكنوز الثقافية في الماضي، وكنا نعتقد أنها ماتت وتلاشت. وها هي



تعود على لسان الرجل لتقترح أشياء جديدة مُخالفة تماماً لما كنّا نتصوّره، ومنها كنّا نحترز ونحذر. هناك مُعلّم. وجائز أن نتعلم منه كيف نفكر.

الملك السريّ إذن في مملكة الفكر التي هي من هذا العالم، ومع ذلك مُتخفية فيه إلى درجة أننا لا نستطيع أن نتأكد من وجودها أو من عدم وجودها بالرغم أن سكانها أكثر عدداً مما نحن نتصور. وإلاّ كيف يمكننا أن نفسر التأثير الفريد من نوعه، «والجوفيّ» أحياناً، لفكر هايدغر ولتحاليله للنصوص الفلسفيّة التي تتجاوز كثيراً حلقات طلبته، وأيضاً لما نحن نعنيه عامة بالفلسفة. ليست فلسفة هايدغر في رأيي - من حقنا أن نتساءل مثل الفرنسي جان بوفريه إذا ما كانت هناك حقاً فلسفة لهايدغر-وإنّما فكره هو الذي ساهم بطريقة حاسمة في تحديد المظهر الفكري لعالم القرن العشرين. وهذا الفكر يتميّز بصفة الاختراق. وهي صفة خاصة به، ولا تضاهيها في ذلك صفة أخرى. وقوّة هذه الصفة تتمثل في فعل «فكّر». إنّ هايدغر لا يفكر «في»، أو«حول» الشيء، وإنما هو «يفكر الشيء»(نحن مضطرون هنا إلى جعل فعل فكر متعدياً لتقريب مفهوم هايدغر لمعنى الفكر-المترجم). وفي هذا النشاط البعيد عن كلّ شكل من أشكال التأمل، يغوص هايدغر في الأعماق، غير أنّ هذا لا يعني أنه يغوص بهدف الكشف عن أرض نهائية مُطَمْئنة، وإنما لكي يفتح، وهو مقيم في الأعماق، طرقاً جديدة، ويضع «علامات» *Wegmarken* - وهو عنوان مجموعة من المقالات التي كتبها بين (1929 و1962). إن الفكر كما يراه هايدغر، يمكن أن يقترح لنفسه مهام، ويمكن أن يقترن بـ«مشاكل»، بل هو بطبيعة الحال، يملك دائماً شيئاً خاصاً يهتمّ به، أو بالأحرى، يحرضه ويحثّه على العمل. إلاّ أننا لا نستطيع أن نقول إن لمثل هذا الفكر هدفاً. وهو دائماً مُنْهمك في العمل. حتى فتح المسالك صالح بالأحرى لفتح بُعْد جديد عوض تحقيق هدف حُدّد من قبل. ويمكن أن تكون المسالك هادئة - *Holzwege* (مسالك الغابات)، وهو عنوان مجموعة النصوص التي كتبها بين عام 1936 وعام 1946)،ولأنها لا تقود إلى هدف محدد خارج الغابة، و«تضيع فجأة في ما لم تكن قد وطأته قدم بعد»، فإن هذه المسالك تكون بالنسبة لمن يحبّ الغابة، وفيها يشعر كما لو أنه في بيته، أفضل من تلك الطرقات



المثيرة للمشاكل، والمُخطّطة بدقة وعناية، وعليها تتهافت أبحاث المختصين في الفلسفة والعلوم الإنسانيّة. وفي اللغة الألمانية، لا تقول استعارة «مسالك لا تؤدي إلى أيّ شيء» فقط المعنى الذي تنطوي عليه العبارة، أي أن هناك أحداً ما «يسير في مسلك لا يؤدي إلى أيّ شيء»، ولا يبتعد عنه، وإنما تقول أيضا شيئاً جوهرياً للغاية، وهو أن هناك أحداً يشبه الحطاب، وهومثله مرتبط بالغابة، ويمضي في مسالك يفتحها بنفسه، وفتح المسالك هذا ليس مُختلفاً عن قطع الأشجار.

وفي هذا البعد من العمق الذي فتحه بفكره النشط، أقام هايدغر شبكة كبيرة من مسالك الفكر. وبطبيعة الحال، النتيجة الوحيدة والفوريّة التي أخذت بعين الاعتبار، وأسست بالتالي مدرسة، هي أنها أدّت إلى انهيار الهرم الميتافيزيقي القائم، الذي لم يكن أحد على أيّة حال يشعر فيه منذ زمن طويل أنه مرتاح البال، تماماً مثلما تنهار المخازن وأعمال الحفر التي تقام على أسس خاطئة وغير عميقة. وهذه عمليّة تاريخيّة، وربما تكون من الصنف الأول، إلاّ أنّه ليس علينا نحن الخارجين عن كلّ إختصاص، بما في ذلك اختصاص المؤرخين، أن نهتم بذلك. وإذا ما كان كانط قد سُمّي على حقّ، وفي أفق معيّن، «المُقَوّض»، و«الهدّام»، فإن تلك الصفة تنطبق على دوره التاريخيّ، وليس إلاّ قليلاً على ما كانه بالفعل. أمّا بالنسبة لهايدغر، ولدوره في تهديم البناء الميتافيزيقي الذي كان على أيّة حال وشيك الوقوع، فإنه بإمكاني أن أؤكد أنه علينا أن نُشيدَ به وحده لأنّ الهدْمَ تمّ بطريقة مناسبة لما سبق، وأنّ الميتافيزيقا تمّ التفكيرُ فيها إلى أقصى نتائجها ولم تكن فقط قد أُجْترّت، وتّم تجاوزها من قبل من أتى في ما بعد. «نهاية الفلسفة» كما يقول هايدغر في *ZurSache des Denhens* إلاّ أنها تشرّفُ الفلسفة وتُعْلي من شأنها من قبل ذاك الذي هومتعلق بها تعلقاً شديداً. وعلى مدى مسيرة مديدة، انشغل هايدغر في حلقاته الدراسية وفي محاضراته بتمحيص وتحليل نصوص الفلاسفة الآخرين، ولم يخاطر بتخصيص حلقة دراسية لواحد من نصوصه إلاّ في فترة الشيخوخة ! (...)»

وفي فقرة أخرى من نصها،كتبت هانّا آراندت قائلة :

«أفلاطون الذي لم يكنْ يريد فقط في «جمهوريته» مَنْعَ الشعراء من ممارسة



مهنتهم، وإنما منع المواطنين أيضاً من الضحك، أو على الأقل منع طبقة الحراس من ذلك، كان يخشى سخرية مواطنيه أكثر مما كان يخشى معارضة الآراء تجاه الضرورة المطلقة للحقيقة. ولعله أدرك تحديداً أنّ مقام المفكر، منظوراً إليه من الخارج، يمكن مقارنته بسهولة ببطل مسرحية «السحب» لأريستوفانيس*. وعلى أيّة حال، هو عرف أن المفكر عندما يريد أن يفاوض بشأن ما فكّر فيه، فإنه يكون عاجزاً عن الدفاع عن نفسه تجاه سخرية الآخرين. وكان ذلك دافعاً من جملة دوافع أخرى لكي ينطلق إلى صقلية في سنّ كانت جدّ متقدّمة، بهدف مساعدة طاغية الجزيرة على السير في الطريق السليم، وذلك بتدريس هذا الأخير الرياضيّات التي كانت تبدو له تمهيداً أساسيّاً لدراسة الفلسفة (...) ونحن نعلم جميعاً أن هايدغر استسلم هو أيضاً لإغواء تغيير «مقامه» لكي «يندمج» كما يقال في ذلك الوقت، في عالم الشؤون البشرية. وبالنسبة للعالم، كان الأمر بالنسبة له أكثر سوءاً بقليل من أمر أفلاطون، إذ أن الطاغية وضحاياه لا يوجدون في ما وراءالبحر، وإنما في موطنه الأصلي. وفي ما يخصّه، أعتقدأن الأمر اتّخذ شكلاً آخر. فقدكان لا يزال شاباً لكي يستخلص - انطلاقاً من الصدمة الناتجة عن التصادم الذي رمى به قبل 35 عاماً بعد عشرة أشهر قصيرة من الحمّى، إلى المقام الذي خصّص له - الدرسَ في فكره من النتيجة التي حصل عليها من خلال تجربته. ما حدث بعدئذ بالنسبة له كان اكتشاف الإرادة كإرادة للإرادة تحت أشكال إرادة القوة. حول الإرادة، كُتب الكثير، في الأزمنة الحديثة خصوصاً في الزمن المعاصر. لكن عن جوهرها ، رغم كانط، ورغم نيتشه، فأن التأمل فيه كان ناقصاً. وعلى أية حال، لا أحد قبل هايدغر، عاينَ كمْ أن هذا الجوهر معارض للفكر، وهو بالتالي يفرض فعلاً تدميرياً. للفكر ينتمي «الامتثال» Gelassenbeit، وفي أفق الإرادة، على الإنسان الذي يفكر أن يقول بطريقة ليست مفارقة إلاّ في ظاهرها : «أنا أريد اللاإرادة». إذ أنه ليس باستطاعتنا أن «نمنح لأنفسنا فرصة الانفتاح على الجوهر المبحوث عنه من قبل الفكر والذي هو ليس

* من أشهر مسرحيات أريستوفانيس، وفيها يسخر من السفسطائيين، جاعلاً من سقراط قائدَهم ومُرشدهم. وهو يتمتع بقدرة فائقة لقلب الحقائق ليصبح الباطل حقيقة والحقيقة باطلاً. وتنتهي المسرحية بحرق مدرسة سقراط، أو «دكانه» بحسب تعبير أريستوفانيس.



إرادة» إلاّ حينما «نتجاوز الإرادة، ونتخلص من التعود عليها».

ونحن الذين نبتغي تكريم مفكرينا، حتى وإن كانت إقامتنا في وسط العالم، ليس بإمكاننا أن نمنعَ أنفسنا أبداً من الاعتقاد ونحن نرى كلاً من أفلاطون وهايدغر وهما ينخرطان في الشؤون الإنسانية، يلجآن إلى الطغاة والديكتاتوريين، بأن ما قاما بها صادم، وربما مُشين. وقد لا يوجد السبب فقط في ظروف العصر، وأقل من ذلك في التكوّن السابق للسلوك، وإنما بالأحرى في ما يسميه الفرنسيّون بـ Déformation professionnelle (التشوّه المهني). فالجنوح إلى الطغيان يمكن معاينته في نظريات جلّ المفكرين الكبار (كانط هو الاستثناء الكبير). وإذا ما لم يظهر هذا الجنوح في أفعالهم، فلأن قليلاً منهم كانوا مستعدين للانطلاق إلى ما «وراء القدرة على الإندهاش أمام البسيط»، لكي «يقبلوا هذه الدهشة كما لو أنها مقام».




مكتبة
الفكر الجديد

رسائل

من مَارتينْ هايدغَر إلى هانّا آرانْدت

(الرسالةُ التي لم تُكتب قط)

على مدى مسيرته الفلسفيّة المديدة، كتب هايدغر عدداً هائلاً من الرسائل. والجزء الأكبر منها حظيت به عشيقته «السرية»، اليهودية هانّا آراندت التي تعرفت عليه خلال سنوات الدراسة الجامعيّة. كما تبادل هايدغر رسائل كثيرة مع إليزابيت بلوخمان التي كانت يهودية هي أيضاً. ولم يكن مصيرها مُختلفاً كثيراً عن مصير هانّا آراندت بعد صعود النازية إلى السلطة في مطلع الثلاثينات من القرن الماضي. وقد انقطع تبادل الرسائل بين صاحب الكينونة والزمن، وبين عشيقته «السريّة» خلال سنوات الحرب، ولم يسترجع نسقه القديم إلاّ عام 1947. وفي مجمل رسائله كان هايدغر يتطرّق إلى مسائل كثيرة تتصل بالحياة اليومية، وبالمسائل والقضايا الفلسفية التي كانت تشغله. كما كان يصف فيها حالات عشقه من دون أن يغفل على التعليق عن الأحداث السياسية الهامة.

كانت هانا آراندت قد غادرت ألمانيا في مطلع الثلاثينات هرباً من النازية لتقيم بضع سنوات في باريس. بعدها هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتحصل على الجنسية التي خوّلت لها أن تصبح مواطنة أمريكية. وعندما عادت إلى أوروبا عام 1950، حرصت على مقابلة أستاذها وعشيقها القديم. وقد تمّ اللقاء في شهر فبراير - شباط من العام المذكور. وكان هو في الواحدة والستين من عمره. أما هي فقد كانت في سنّ الرابعة والأربعين. وفي كتابه : من مارتين



هايدغر إلى هانّا آراندت : الرسالة التي لم تكتب قط، يروي المفكر الإيطالي بيو كولونالّو، أنه تلقّى ذات مرة مكالمة هاتفية من صديق له اقتصر على تسميته بـ B.M. وكان هذا الصديق المولود عام 1927 قد حصل على ماجستير في الفلسفة في بلاده. بعدها إنتقل إلى ألمانيا لمواصلة دراسته الجامعية. وبين عامي 1951 و1952، حضر دروس هايدغر في جامعة فرايبورغ. ثم لم يلبث أن ارتبط به بعلاقة حميمة سمحت له أن ينفذ إلى عالمه، وأن يتعرف على الكثير من أسراره. وبين وقت وآخر، كان هايدغر يُعير تلميذه كتباً. ومرة أعاره كتاباً حول هولدرلين لمؤلف فرنسي مجهول إلا أنه لم يعده له كما كان الحال مع جميع الكتب الأخرى. وعند عودته إلى إيطاليا، وضع الكتاب المذكور في مكتبته الخاصة، ونسيه. وفي عام 1990، كان بصدد ترتيب مكتبته لما عثر على الكتاب من جديد. وفي هذه المرة، وجد بين صفحات الكتاب المذكور رسالة موجهة من هايدغر إلى هانّا آراندت، وفيها يشرح الكثير من الملابسات المتعلقة بعلاقته مع النازية. وهو ما لم يفعله قط في الأخرى. ويشير بيو كولونالّو أنه نقل تلك الرسالة إلى اللغة الإيطاليّة. وكان ينوي نشرها إلاّ أنّ مشاكل صحية خطيرة حالت دون ذلك. وعندما استعاد عافيته، أراد أن ينشر الرسالة المذكورة غير أنه لم يعثر على الأصل. لذا اكتفى بتسليم صديقه بيو كولونالّو نسختها المترجمة إلى لغة دانتي. ويشير بيو كولونالّو إلى أنه كان يستعدّ لاستشارة صديقه بهدف نشرها إلاّ أن الموت اختطفه فجأة. لذا آختار نشرها كما هي تكريماً له أستاذاً وصديقاً، معتقداً أنها بالفعل رسالة من هايدغر إلى هانا آراندت. تبدأ الرسالة على النحو التالي :

«فرابيورغ 12 فبراير- شباط 1951

هانّا،

صديقتي العزيزة، كم أنّ ذكرى الماضي تعود في أغلب الأحيان. وكم هو مُدْهش الحفر في بئر الذاكرة مع إثبات النظر في الحفرة الداكنة والمتلاشية، حيث تبرز صور شاحبة، وظلال خفيفة...

هذه الليلة-أنا لا أدري إن كنت قد استيقظت تماماً أم أنني كنت لا أزال غارقا في عتمة النوم - أظهرت لي ذاكرتي مقاطع متسلسلة من



صغيرة وكبيرة وَسَمتْ حياتي، وجعلتني أفكر بغتة في شيء ظل إلى حد الآن مَخفيّا.

وأنا أحاول أن أفسر لك ما كنت قد عشته من جديد، مُستعْرضاً صور الماضي الحيّة التي تتطلب الآن توضيحات وشروحات. وأنا لا أدري من أين أبدأ في استحضار تدفق مقاطع الماضي.»

وبعد أن يتحدث عن المشاعر التي استبدت به في لقائهما الأول في شهر فبراير – شباط 1951 بعد سنوات طويلة من الانقطاع، يعود هايدغر من جديد إلى استحضار ذكريات الماضي الذي وسمته أحداث «سمّمتْ أيامه» بسبب الإتهامات التي وجهت له، والمتمثله في تعاطفه مع النازية، وسكوته عن جرائمها الفظيعة. وهو يقول بأنه قبل منصب العمادة تحت ضغط أصدقائه الذين كانوا يرغبون في أن تظل الجامعة مستقلة ولو بشكل محدود عن التوجهات النازية التي كانت قد بسطت سيطرتها المطلقة على جميع المؤسسات. وفي رسالته، يؤكد هايدغر لعشيقته اليهودية أنه لم ينتم قط إلى الحزب القومي- الاشتراكي بزعامة هتلر. كما أنه لم يكن ملتزماً سياسياً. وهو يضيف قائلاً :

«كنت أطرح أسئلة عن تجديد الجامعة الألمانية انطلاقاً من قواعد جوهرها ذاته. ولم يكن ذلك على علاقة بأيّ حال من الأحوال بإرادة من جانبي لإقحام نفسي في مشاكل تتصل بالنظام السياسي والإداري، ولا بأي نظام آخر. ما كان يهمني فعلاً هو إعادة ترتيب وتنظيم مجالات العلوم التي كانت بعيدة عن بعضها البعض، في حين كان العنصر الجامع ما بين العلوم في جوهرها الأصيل، مهملاً تماماً (...) وقد قبلت (يقصد منصب العميد) لأنني كنت أعتقد أنه بإمكان الحركة التي ارتقت إلى السلطة في تلك السنوات، أن تطمح إلى تجديد عميق للشعب الألماني في تاريخ الغرب. وكنت أعتقد أيضاً أن قبولي بالمهمة التي عُهدت لي، قد يساعدني على أن أقود سيرورة هذا التجديد مُستعملاً كل القوى المحتملة من أجل هذا المطمح، وهذا الهدف».

ثم ينقطع هايدغر عن ذكر أحداث الماضي، ويخاطب عشيقته قائلاً :

«هانّا، من الذي يعلم ماذا تفعلين وفي ما تفكرين بينما أنا أروي لك كلّ هذا. أنا لا أرغب في إزعاجك خصوصاً وأنك كنت لطيفة جداً إذ أنك



أرسلت لي صوراً مع رسائلك الأخيرة. وها أنا أراك من جديد، متألقة بهيئتك، هيأة آلهة إغريقية كأفروديت. وها أنا أعيش من جديد بدايات علاقتنا، ومرة أخرى أشمّ عطور حدائق ذلك الشهر، شهر مايو - أيار المضيء، الذي تعرفت خلاله عليك، ومن جديد أرى الأشجارَ والزهورَ، والليلكَ وهو يتمايل على الجدران القديمة، ورغوة الغابات الكثيفة وقد داستها قدماك الصغيرتان العزيزتان. وأنا، مفتوناً بالرحيق العذب لحبّنا، أصعد التّآت الهادئة، بحثاً عن المنحدرات الأشد عُسْراً في المهاوي، أوعن بحيرة صغيرة عند سفح الجبل لكي أفكر بشكل أفضل، لكي أفكر بشكل أفضل في حبك».

وعندما يعود إلى خطاب تنصيبه رئيساً لجامعة فرايبورغ، يشير هايدغر إلى أن أعداءه ومنتقديه شوّهوه، وحرّفوا الأفكار الواردة فيه. حتى الكلمات التي استعملها في خطابه المذكور مثل : خطر، سيادة، قوّة، نظام، التزام، تمّ تحريف معانيها عن قصد وسوء نيّة، ومنحوا هذه الكلمات معاني حربيّة. أما هو فقد أطلق من خلال خطابه نداء للشعب الألماني يحثّه فيه على العمل. كما أنه حرص فيه على إبراز أن المعرفة والعلوم لا بدّ أن تكون الركيزة الأساسية للجامعة الألمانيّة. أما الفقرة الواردة في خطابه، التي يقول فيها بإن «العالم الروحي لشعب من الشعوب هو القوة التي تنبثق من جوهر الاحتفاظ بالقوى المجبولة من الأرض والدم»، فقد اعتبرها منتقدوه منسجمةً مع التوجّهات العنصرية للنازية، ومع فكرة روزنبارغ، أحد منظّريها الذي يرى أن «الفكر يتكلّم انطلاقاً من العرق». والحقيقة أنه كان يرغب، من خلال ما ذكر، معارضةَ الخطاب النازي الذي يستند إلى ما يسمى بـ«العلم السياسي» لتبرير تفوّق العرق الآري. كما حرّف أعداؤه تحريضه على العودة إلى الفكر الإغريقي، متهمين إياه بمناصرة النازيين الذين كانوا يرون أن جذور الإنسان الغربي تكمن في الحضارة الإغريقية. لذا يعتقدون أن نهوض الأمة الألمانية الذي يطمحون إليه لا يتحقق إلاّ بحدوث تمازج واختلاط بين العنصر الإغريقي والعنصر الألماني. أما هو فالعودة إلى الإغريق لا تعني له سوى العودة إلى فلسفتهم التي أسست القيم الإنسانية العظيمة. وفي خطابه، تحدث هايدغر أيضاً عن الصراع الذي تحتاجه كل إرادة وكل فكر أصيل من أجل امتلاك المزيد من القوة والإشعاع



والعطاء. وهو معنى يتوافق مع المعنى الذي منحه هيراقليطس للصراع حيث كان يراه ضرورياً للشكف عن الحقيقة المتخفية أو المصادرة، وفرض الحوار المحرّم والممنوع. إلا أن أعداءه منحُوا كلامه حول الصراع، معنى يتطابق تمام التطابق مع المعنى النازي الذي يهدف إلى السيطرة وبسط النفوذ بقوة السلاح. ويضيف هايدغر قائلاً :

«عليّ أن أعترف لك، عزيزتي هانّا، بأن الانتقادات التي وجّهها لي في تلك الفترة أجانب مثل الإيطالي بينيديتو كروشه في مجلة كريتيكا جرحتني في الأعماق. فخلال تلك السنة الرهيبة، سنة 1933، أشار كروشه من دون أن يرفّ له جفن، إلى «أنّ الفلسفة والعلم هما بالنسبة للألمان مسألة خاصة بهم وحدهم». لذا لا يكونا نافعين إلاّ لهم وحدهم دون غيرهم من أمم الأرض. بل أن كروشه وآخرين مثله، ضاعفوا من غلوّهم واعتبروا أن التاريخ بالنسبة لي هو في الحقيقة تأكيد على تفوق العرق الآري. ومعنى هذا أنهم جعلوا منّي مُهرّجاً يتعامل مع الفلسفة كما لو أنها عاهرة من الصنف الوضيع. آه ! كم هي بعيدة كلمات هؤلاء عمَّا هو حقيقيّ، وعن الجمال، وعن الخير. وربما يجدر بنا قبل كل شيء، يا عزيزتي هانّا، أن نعيد الجمال إلى نور الحقيقة، وأعني بذلك الجمال في مفهومه الأكثر سموّاً، كحقيقة لكينونتنا، ولوجودنا، ذلك الجمال المهمل والمحرّم في عصرنا المظلم والخطير. الجمال الذي لا يجد له مكاناً إلّا في قصائد الشعراء، وفي قلوب الأنفس الطيّبة والبريئة. ومتى يكتشف عالمنا من جديد هذا الجمال ؟ ومتى نمنحُ الحق لدوستويفسكي ولعزيزه الأمير ميشكين الذي كان يؤكد أن الجمال وحده ينقذ العالم».

ويؤكد هايدغر في رسالته المذكورة أنه مَنعَ في اليوم الثاني من تنصيبه رئيساً للجامعة الطلبةَ النازيين من تعليق منشور معاد للسامية، يحرّض على ضرورة «تطهير» البرامج الدراسية من كل ما هو «غريب» عن الفكر الألماني، وعن الأمة الألمانية. وقد سبّب له ذلك متاعب جسيمة، الشيء الذي أجبره على قبول مسايرة توجهات الحزب القومي - الاشتراكي. ولم يكن هدفه من تلك المسايرة سوى العمل على أن تحتفظ الجامعة الألمانية باستقلاليتها تجاه المدّ الكبير الذي كانت تشهده ألمانيا في ذلك الوقت بعد أن سيطر النازيون على جميع مفاصل الدولة.



ويتحدث هايدغر عن استقالته من منصب رئيس الجامعة على النحو التالي :

«استقالتي التي حدثت في شهر أبريل - نيسان 1934، أدهشت أكثر من واحد، وأغلب الناس لم يدركوا فحواها، وكانت مفاجأة لجامعتي. كنت قد تعبت، ولكني لم أكن أرغب بالخصوص في ارتكاب أخطاء جديدة ومُنْكرة. بل إنني لم أحضر حتى حفل تنصيب خليفتي، رجل القانون إدوارد كارن، وكلفت آخرين بقراءة تقرير نشاطاتي إذ أن خليفتي كان قد تمّ تعيينه من قبل الوزير، وهو أمر جعلته أنا نفسي ممكناً مع اللجنة الجامعية في بادن بادن. وقد اهتمت الصحافة كثيراً بتنصيب كارن، وجعلتْ منه الرئيس القومي - الاشتراكي الحقيقي لجامعة فرايبورغ، والوحيد الذي يُخَوّل له نشر الفكر العسكري في الجامعة كما لو أنه جنديّ على جبهة القتال. في ما يخُصّني، لم يكن بإمكاني أن أفعل شيئاً. فمنذ فصل الربيع من ذاك العالم، تكتّلت ضدي مجموعة داخل الجامعة. وكان يقودها زميلان قديمان من ماربورغ، يانش وكريك، اللذان كانا قريبيْن من روزنبارغ. بالإضافة إلى ذلك، كانت المسافة الراديكالية التي تفصل بيني وبين الحزب قد ازدادت اتساعاً خلال شهر حزيران - يونيو من العام المذكور. فخلال ليلة «السكاكين الطويلة»، كانت العناصر التقدمية في الحزب، قد تعرضت لهجمة شرسة ووحشية. آه ! كم من آلام ومن أحزان تجرعتُها يا عزيزتي هانّا ! ولكن ليس بسبب إخفاقات وهزائم مُنيتُ بها، كما يزعم البعض، غَيّرتُ أفكاري بطريقة راديكالية. ولو كان الأمر على هذه الصورة، لكنت توجهتُ الى مسائل تتصل بالمقدس، وبالحدث، وبـ Kairos، وبالمناطق المضيئة للذكرى المفكرة، في نفس السياق مع هولدرلين الذي كان قد وضّح كيف أن جوهر الحقيقة يتخفى وراء الحدث «النادر» في الحدث التاريخي بالمعنى الحقيقي للكلمة، حادساً في ظلمة الليل النهارَ وهو يشرع في البزوغ، وفي هزيمة وعواصف الوجود، النجمةَ القطبية للكلمة الشعرية : في الليل الروحي للعالم، الذي اختفت فيه حتى الآلهة، وحدهم الشعراء سيكون لهم واجبُ قطف جوهر الحقيقة بطريقة أصليّة. ومنذئذ كان يمكن أن يكون فكري شبيهاً بالفعل الشعري. إلا أن الأمر لا يعني ذلك. وأنت تعلمينه إذ أنني حدثتك عنه أكثر من مرة».

ويشير هايدغر في رسالته إلى أنّ انسحابه من الحياة العمليّة بعد استقالته من منصب رئيس الجامعة، لم يكن كافياً لا لتهدئة ولا لتغذية حياته العمليّة. بل،



بالعكس، ازدادت الأوضاع سوءاً، و«تكاثرت السموم». فمنذ عام 1934 حتى عام 1944، كان جواسيس الـSS يراقبون محاضراته. وكانت الصحف التابعة للحزب القومي - الاشتراكي دائمة التهجّم عليه. وابتداء من عام 1938، مُنعت الصحف من ذكر اسمه، ومن التعليق على كتبه. ويواصل هايدغر حديثه عن تلك السنوات «السوداء» قائلاً :

> «كانت الأحداث تتتابع. وكانت رياح الحرب تعصف بكل شيء تمرّ عليه : العواطف، والقيم، والرجال، والأشياء. كل واحد كان يرجف فزعاً في وحدته، ويسعى دائماً إلى الابتعاد عن الآخرين، وعن المجتمع برمّته. وفي بداية النزاع، كان كلّ شيء يبدو عظيماً، مكللاّ بالنصر. لكن شيئاً فشيئاً، وخصوصاً في نهاية تلك التراجيديا المرعبة، عوّض دويُّ المدافع وإنفجار القنابل الكلماتِ والحوارات. وبالتأكيد أنني لا أقول هذا للمبالغة. فهذه الذكريات جزء من ذكرياتنا نحن الألمان، ومن تاريخنا القريب. الحرب التي كنّا توقعناها قصيرة، قد تستمر أسبوعا، أو بضعة أشهر، باتت طويلة ومدمّرة ومهلكة».

ويقول هايدغر أنه أجبر في عام 1944 على الالتحاق بما سمي بـ«الميليشيا الشعبية» للقيام بعمليّات تحصين على نهر الرين ليعيش فترة كالحة أخرى. فقد كان عليه أن يقطع مسافات طويلة في الطين، والثلج. وفي منطقة الألزاس، طلب منه ومن معه من الرجال، حَفْرَ خنادق. وأغلب هؤلاء الرجال كانوا قد تجاوز سن الخمسين، بل منهم من تجاوز سن الستين ! ولم يتمكن من العودة إلى مسقط رأسه «ماسكيرش» إلا بعد أن حصل على شهادة طبية أباحت له التمتع باستراحة لمدة ثلاثة أشهر. وبعد انهيار النازية، وسط الخراب، لم يجد هايدغر سلوى إلاّ في الشعر الذي لعب دوراً هاماً في تهدئة نفسه القلقة والمضطربة. لذا دأب على قراءة أشعار هلدرلين، وتراكل، وريلكه. ومن حين لآخر، يتذكر قصيدة كان قد كتبها في سنوات العشق إلى حبيبته هانّا آراندت، وفيها يقول: «عذب هو النشيد، عندما كنتُ أتبعك عبر الشّعاب، وعبر الممرات الجبليّة الوعرة». ومتغزّلاً بحبيبته هانّا، يكتب هايدغر في نفس القصيدة قائلاً : «كم هما جميلتان قدماك، على قمم الجبال المخمليّة، وعيناك تحملانني إلى أسفار بين



الكواكب والنجوم المذنّبة».

ويستعرض هايدغر في رسالته، المتاعبَ التي واجهها بعد الحرب. فقد مُنع من استئناف التدريس في الجامعة وهددت سلطاتُ الاحتلال الفرنسية بمصادرة مكتبته الخاصة، وفرضت عليه أن يتقاسم بيته مع عائلة فرنسية. كما كلفت سلطاتُ الاحتلال لجنة لمحاكمته كنصير للنظام النازي المنهار. وكان عليه أن يستنجد باثنين من معارفه القدماء على أمل مساعدته على اجتياز المحنة التي كان يمر بها. الأول هو أستاذه القديم غروبر الذي كان قد تعرف عليه عام 1903، أي عندما كان عمره 14 عاماً. وبمساعدته قرأ في عام 1907، كتاب برانتانو: حول مفهوم المتعدد والموجود عند أرسطو. أما الثاني فهو كارل ياسربس الذي كتب تقريراً يشيد فيه بحساسيته الفكرية العالية، وبقدرته الفائقة على تقبل الأفكار وهضمها وإدراكه الهائل لجوهر الفلسفة. في الآن نفسه، أشار ياسبرس في تقريره إلى أن فلسفة هايدغر تتسم بـ«الديكتاتورية، وبالإنغلاق، وبعدم القدرة على التواصل مع الآخرين». لذلك فإن عمله كأستاذ «خطير» على الطلبة، و«مضرّ» بتربيتهم فلسفياً. ثم يكتب هايدغر في رسالته قائلاً: «سلواي الوحيدة في فترة الاضطرابات والقلاقل هذه كانت التفكير في ما زرعتُه من خير، وفي الذين أحببتُهم وأحبوني، وخاصة أنت يا عزيزتي هانّا. أحيانا تقفز إلى ذاكرتي نقاشاتنا، وجولاتنا قبل حلول الظلمات الكبيرة. وها أنا أرى ساعة الغروب، والسماء القرمزيّة. وثمة قطع من السماء تتكسّر على كريستال البرك، والأشجار بأغصانها العارية السوداء تبدو شبيهة بخيوط عنكبوت هائلة الحجم في الغروب الذي بلون الدم. أه يا للجذوع النحسة واضعة بقعاً من الظلال على كرنفال الأضواء. أصابع الغروب الحريرية، روائح الأعشاب وهي تحترق، وموسيقى كلماتك. نهر طويل، والقصب يتمايل، ثقيلاً باتجاه المرآة المائية، والروح تهزها ارتجافات قويّة. وحول كل هذا، أزهار وهواء رطب وبخار أنفاسنا. صور متكسّرة في الماء، والانعكاسات زرقاء للفوانيس. زقزقات الطيور في المساء، وضجيج أصمّ يبتعد في الظلام. وصورتك تتظلّل كلما ازدادت السماء حلكة فلا يتبقى غيرُ رنين كلماتك، وحرارة نَفَسَك».



مع ذلك، لم تمنع هذه الاضطرابات وهذه المتاعب هايدغر من مواصلة عمله. فقد انكبّ على تأليف كتب جديدة، معيداً صياغة محاضراته القديمة. وبتحريض من صديقه الفرنسي جان بوفريه، عاد إلى المسائل المتصلة بالفلسفة الوجودية لا للرد على سارتر، وإنما للمزيد من التعمق في مسائل كانت قد شغلته في بداية مسيرته الفلسفية. وشيئاً فشيئاً بدأت السحب تنقشع. ففي عام 1949، أطلق سراح بنيه الذين كانا أسرى في روسيا. وأبدى بعض الأساتذة الكبار في الجامعات الألمانية عزمهم على رفع «المظلمة» المسلطة عليه، والمتمثلة في حرمانه من التدريس. وقد أثارت محاولاتهم هذه غضب آخرين فشنوا عليه هجومات جديدة. وفي مطلع الخمسينات، تمكن هايدغر من استعادة مركزه الجامعي، وألقى محاضرة في أكاديمية الفنون الجميلة بميونيخ حول «الشيء». وفي نهاية رسالته، كتب هايدغر قائلاً :

«آه يا عزيزتي هانّا، كم أودّ لو كنت معي هنا! لقد شرعت في كتابة هذه الرسالة في بداية انتشار ضوء النهار، وأنا لا زلت أرى بريق النجوم الأخيرة وهي تذوي في نور الصباح الطالع. لا أعرف كم من الساعات مرت مُذْ شرعتُ في الكتابة. لكن كان عليّ أن أروي لك - أخيراً وبطريقة متماسكة ومتناسقة وليس بمقاطع ونتف - على الأقل جزءاً من تلك الأحداث التي عشتها على مدى سنوات انفصالنا الطويلة، حتى لو كانت تلك الأحداث ترقد ميّتة في أعماق ماضينا المؤلم. وعندما أكتب لك، كنت أتوقف من حين لآخر لأتأمل على مكتبي صورتك التي بعثت بها إليّ في خريف العام الماضي. جمالك يوقظ فيّ أفكارا كثيرة. وها أنا أتصورك فجأة تحت سماء من ذهب ومن أرجوان في حين تلمع جوهرتَا عينيك لتضيء الليل...

تذكّري هلدرلين :

... مديدٌ هو الزمن

لكن ما هو حقيقيّ لا بد أن يأتي !»

أحترق لكي أراك

مارتين




مكتبة
الفكر الجديد

رسائل

مِنْ هايْدغَر إلى زوْجَته

بفضل حفيدتهما جرتريد، جُمعت رسائل الفيلسوف الكبير هايدغر إلى زوجته إلفريده التي كان يخاطبها دائماً بـ«روحي الصغيرة العزيزة». وبحسب جميع الذين دَرَسُوا حياة صاحب الكينونة والزمن، كانت إلفريده إمرأة صعبة المراس، تدافع عن مصالح زوجها باستماتة وبـ«الأظافر» إن لزم الأمر. وقد تكون هي التي دفعته إلى قبول منصب عميد جامعة فرايبورغ عند صعود النازيين إلى السلطة في مطلع الثلاثينات من القرن الماضي،إضافة إلى أنها كانت أيضاً تجاهر بكراهيتها لليهود.

تعرّف هايدغر على إلفريده باتري عام 1915، عندما كان يدرّسُ فلسفة كانط لمجموعة من الطلبة. وفي حين كان هو كاثوليكيّاً، كانت هي بروستاتينية، لها ميول قومية. كانت عاشقة للفلسفة والطبيعة، ومُعجبة بإيديولوجية حركة «الطيور المهاجرة» التي كانت تدعوة إلى ما تسميه بـ«العقل السليم في الجسم السليم». ومثل هايدغر، كانت تنفُر من الحياة في المدن الكبيرة، وترغب في العيش في الغابات، وفي القرى الجبلية، بين المزارعين، والرعاة، وبسطاء الناس المتعلقين بالأرض، وبالطبيعة. وبسبب سواد شعره، كانت إلفريده تسمي زوجها «عربيّي الصغير». ولعل سبب انجذاب هايدغر لها منذ البداية، هو أنها كانت تتصرف كما لو أنها ربة البيت الوفية، المستعدة للتضحية بمكانتها الفكرية والثقافية لإسعاده، وإسعاد أطفالها. ورغم أنه كان يخونها مع المعجبات، وهانا



آراندت أشهرهن، فإنها ظلت وفيّة له. كما أنه غفَر لها انجاب إبن من عشيق قبل زوجها. وحتى النهاية، ظل هايدغر يتعامل مع هذا الإبن هارْمان، كما لو كان من صلبه.

وتعتبر الرسائل الموجهة إلى زوجته إلفريده، وثيقة هامة جداً للنفاذ إلى خفايا وأسرار حياة هايدغر في مختلف أطوارها وتجلياتها. لا يتحدث فيها فقط عن القضايا الكبيرة التي تشغله في مجال الفلسفة، أو في مجالات أخرى، بل عن تفاصيل حياته اليومية، وما يعتريها من مُضايقات مادية، أو معنوية، وعن عمله كأستاذ مرموق، وعن التفاهات التي تطبع الحياة الجامعية، وعن خصومات زملائه الأساتذه، ورغبة البعض منهم في تدبير«المؤامرات» من أجل كسب المزيد من النفوذ والشهرة.

و تضيء هذه الرسائل البعض من الأسباب التي أدّت إلى الصعود السريع للنازية في العشرينات من القرن الماضي بمساندة مطلقة من بورجواية زراعية محافظة ينتمي إليها كلّ من هايدغر وزوجته. وقد اخترت بعضاً منها، هي التالية:

«فاتح ديسمبر 1915

تعالي أيتها الروح الصغيرة، استريحي على قلبي بعمق، ولزمن طويل أنا أريد أن أنظر في عينيك الحالمتين، وأقول لك شكراً. - أيتها الروح الصغيرة - لقد سمحت لي الفرصة أن أكتشف دائماً أشياء رائعة وأنا بجانبك - أنت لي - ومن واجبي أن أحمل هذه السعادة التي لستُ بقادر على وصفها - هل يداي مقدّستان حدّ أنهما تمسكان، مرتجفتين، بيديك - وهل روحي التي تُسيطها كلّ عواصف الشك والريبة خليقة بأن تكون الصندوق الذي يحتفظ بحبي لك إلى الأبد ؟....»

«فاتح فبراير- شباط 1916

حياة سامية، عالية القمة التي تنفتح لي. حياة فيها أستطيع أن ألقي بنفسي في خضمّ مشاكلي، وفيها تستطيعين أن تكوني رغم ذلك بجانبي. وسوف تكونين بالنسبة لي مرفأ راحة وهدوء عندما أعود مُتعباً للقضايا الكبيرة من البلد البعيد.»



5 مارس - آذار 1916

أعرف اليوم أن فلسفة حياة مُفعمة بالحيوية والنشاط من حقها أن تكون موجودة، وأعرف أن من حقي أن أعلن حرباً شرسة وعنيفة ضدّ العقلانيّة من دون أن أكابد لعنة العلمية. لي الحق في ذلك، وعليّ أن أفعله. وها كيف تتجلى بالنسبة لي حتميّة المشكلة : كيف نبتكر فلسفة تكون حقيقة حيّة، وكيف يمكن أن تكون لها كابتكار للشخصية، قيمة وقوة... علينا ألاّ نمنحَ أبطالنا الشباب الذين يعودون جوعى من ساحة المعركة، حجراً عوض الخبز. ليس باستطاعتنا أن نقترح عليهم مقولات ميّتة وغير واقعية، وأشكالاً ليست سوى ظلال، وأدراجاً فقيرة يحتفظ فيها بعناية بكل هذا، وتترك الحياة تتعفّن وقد أنهكتها العقلانية.

18 أكتوبر 1916

تهويد ثقافتنا وجامعاتنا أمرٌ مخيف ومرعب، وأنا أعتقد أنه يتحتّم على الجنس الألماني أن يعمل على تفعيل قوّة داخلية ليبلغ القمة.

يوم الصعود 1917

منذ أن أصبحت لي كاملة، بما في ذلك من وجهة نظر خارجية، وأنا أعني بذلك ما يتعلق بالأشياء اليومية الفورية، وهي ليست من دون قيمة، مكّنتني الحياة من الحصول على الانسجام - أي أنني أصبحت أمتلك كلّ مقوّمات الروح، وثورة روحية لكيْ نتمكّن من الإعتراف بالجميل في كل يوم. يا له من فظيع زواج يقوم على حبّ بورجوزي غبي، وليس مفهوماً لديّ زواج يصفونه بـ«زواج العقل». ما يعنيه الحبّ الحقيقي، أنا أجهله إلى حد الآن، لكنّني أنا واثق من أنّ كلّ واحد منّا يحمل في داخله هذا الحب.

21 يوليو - تموز 1918

أنت تعرفين أنني أجد صعوبة في التعلق بصديق. والآن عندي واحد وهو«أوبريكيرش» في «الغابة السوداء». وقد شرع في دراسة الرياضيات والكيمياء في جامعة هايدلبارغ. وهو ذكيّ جداً، وله روح صافية، وغير مُدَنّسَة. وصحيح أنه عديم المهارة، لكنه يتمتع بقابلية كبيرة لكلّ ما يتّصلُ بالفكر.

وأمس قمنا بنشاط خاص. فقد ذهبنا إلى برلين، وتابعنا ما يحدث



في «فريدريكشتراسه»*، ولم نجد الشجاعة الكافية للذهاب إلى مقهى. لذا عدنا إلى الفندق في الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً، وكلّنا تقزّز ونفور. وأعتقد أننا لم نرَ غير السطح. إذ أن كلّ ما شاهدناه كان شكلاً من أشكال الجنون. وأنا ما كنت أتصور أنني سأجد نفسي ذات يوم إزاء شيء شبيه به، وما كنت أعتقد أن الجنس يمكن أن يبلغ مثلَ هذه الدرجة من الابتذال، والخساسة، والهبوط. مع ذلك أنا أفهم الآن برلين أكثر من أيّ وقت مضى، والحياة في «فريدريكشتراسه» انتشرت في كلّ انحاء برلين. وفي وسط كهذا، تنعدمُ كلّ عظمة ما هو بسيط وإلهيّ.

وكم أشعر بالسعادة حين أفكر في فرايبورغ، وفي كاتدرائيها، وفي الخطوط التي ترسمها جبال «الغابة السوداء». إن الحرب عندنا هناك، لم تكن مرعبة ومفزعة إلى هذا الحد. أما هنا فالناس فقدوا الرغبة في الحياة، وباتت أرواحهم مُكتَئِبة سوداء، والوجوه لا تعابير فيها. وبالإضافة إلى السوقية، ليس هناك ما يمكن أن يوقف هذا التدهور. وربما يمكن إنقاذ «برلين الثقافية» بفضل ثقافتها الأصلية في جامعات مقاطعاتها - وعلى أية حال، ليس بالإمكان معالجة شبيبتنا إلاّ اعتماداً على هذه الثقافة، هذا إذا ما افترضنا أن ذلك لا يزال ممكناً. من أعماقه يقبلك «عربيّك الصغير»**.. تحيّاتي الخالصة إلى والدتك ...

30 أغسطس - آب 1919

(بعد أنْ علم هايدغر بأن لزوجته عشيقاً قبل زواجهما)

رسالتك وصلت مبكراً هذا الصباح، وكنت أعلم مسبقاً ما تحتوي عليه. أن نتكلم عن ذلك طولاً وعرضا، وأن نحلل كل شيء بالتفصيل، كلّ هذا لا يمكن أن يؤدي إلى أيّ شيء. يكفي أنك قلت لي ذلك بطريقتك البسيطة والجريئة. وأنا لا أفهم لما تقولين أنك «ممزقة»، وأنا أرفض أيضاً تقبّلَ عرض سايكولوجيا مُلَفّقا - ليس بسبب لامبالاة - وإنما لأنني أرغب في أن تكوني لي كما أنت فوراً. أن يحبك فريدل*، هذا أمر أعلمه منذ زمن طويل، ومساءلتك عن ذلك سيكون أمراً سخيفاً ومُبْتَذلاً. وأنا أتعجب

* شارع شهير في برلين كان معروفا في الحرب الكونية الأولى بكثرة بائعات الهوى. وبعد الحرب الكونية الثانية،أصبح يشكل الخط الفاصل بين برلين الغربية وبرلين الشرقية.

** هكذا كانت تلقب إلفريده هايدغر.



أحياناً لَمَ لَمْ تحدثيني عن ذلك من قبل. وأمر يختصّ به فريدل أن يشعر أنني أكبته، وفوق ذلك بالتأكيد، هو لا يرى فيّ سوى عالم المكتب الأخرق، عديم المهارة، يكتفي باتباع الآخرين. وسيكون من الحمق من جانبي، كما سأبدّد وقتي، إن انا حقدتّ عليه، واستعديته. لقد حاولت أن أكون لطيفاً معه، وأن أحرضه على العمل حتى وإن كانت هذه المسؤولية الثقافية ترهقني حين لا أعاين عند الآخر نفس التحريض، وبنفس الدرجة. (...) لي ثقة فيك، وفي حبك، وبنفس يقين حبي لك - حتى وإن كنتُ لا أفهم كلّ شيء، ولا أدرك حقاً المنبع الذي يرتوي منه حبّي المتعدد.

20 حزيران - يونيو 1932

ما كتبته لي بشأن الصحيفة اليهودية وتيكه، كنت قد فكرت فيه من قبل. ليس علينا أن نكون مرتابين ومتشككين إزاء هذه النقطة. إنني، في هذا الوقت، بصدد قراءة أفكار بيزمارك وذكرياته - وحكايات إغريقية بالخصوص - من دون أن أنقطع عن التساؤل عن الوضع الذي أقحمنا فيه، ليس فقط لأنه ليس هناك شيء عظيم وجوهري، وإنما، وهذا مواز له أيضاً وبالتأكيد، ويمثل نقصاً فادحاً، هو أنه ليس هناك غرائز للمعايير وللمرتبة. وقد سبق لي أن كتبت أنه بالرغم من أن النازيين سيكلفوننا تضحيات باهضة، إلاّ أن هذا أقل ضرراً من السمّ المخادع الذي تعرضنا له خلال العقود الماضية تحت شعار «ثقافة»، و«فكر». (...) شكراً لهارمان على الرسالة المُسْهَبَة، وعلى الأوصاف. بإمكاني أن أبلور فكرة عن هذا الآن. آمل أن يجد لي أنا أيضاً بيضة. وما كنت أعتقد أن هناك بيضات بمثل هذا الحجم الكبير. قُدُورنا مهيّئة بشكل جيد. والفراولة في طور النضج، وكلّ شيء في الحديقة غزير، ووفير. آمل أن يتواصل الطقس جميلاً عندكم. سوف أرسل جرائد في الأيام القليلة القادمة. حبّي الكبير وتحيات من أعماقي.

3 أبريل - نيسان 1948

يشغلني التفكير، ورغم كل ما حدث، لي ثقة في مستقبل أسمى لجوهرنا. حتى وإن بدا لي أحياناً أن كلّ قوى جهنّم، ومنها المنبثقة من أعماقنا، تحتشد جميعها لكي تقطع الطريق الذي يأخذنا إلى هناك (...) ويبدو لي أحياناً أن على الرعب بقطع النظر عن أبعاده، أن يتبخّرَ فجأة مثل كابوس لخوائه وبطلانه.



وفي وقت قريب سوف يتهالك الرعبُ الأسودُ على كلّ مقاطعات وطن هلدرلين. مع ذلك، الأمواج، والغياض والهواء، والصباح والمساء، وكل هذا سيحتفظ بهدوئه، وسوف يكون دائماً راسماً لدلائل جديدة.

14 نوفمبر – تشرين الثاني 1969

روحي الصغيرة العزيزة

لن أنس – والجو ملائم لكي أكون في تأمل لا ينقطع، ولكي أثمّن قيمة كل يوم يتبقى لي من حياتي، وأحاسب نفسي. وسوف نعدّ أنفسنا لأشهُر الشتاء الهادئة، وأنا أفكر في تلافي ما أضعته بسبب إهمال مني. أشكرك لثقتك المتجددة فيّ، وهي ثقة لا أستحقها. أحييك من قبل حبّنا الناشئ الذي يتوارى أحياناً، ومن قبل انتمائنا للأوقات الأولى...



قصّة حُبّ

بين هايدْغَر وهَانّا آرانْدت

كانت هانّا آراندت في الثامنة عشرة من عمرها لمّا استمعت إلى محاضرة حول أفلاطون لمارتن هايدغر الذي كان آنذاك في السادسة والثلاثين من عمره.كان متزوّجاً، وأبا لطفل. ومنذ البداية انجذبت الطالبة اليهوديّة الجميلة ذات العينين السوداوين الواسعتين، وكانت ترتدي فستاناً أخضر، لصاحب الكينونة والزّمن. لذا سرعان ما وقعت في شراك حبّه هي التي كانت مفتونة آنذاك بالفلسفة اليونانيّة وباللاّهوت. كانت تعتبر الإنجيل جزءاً أساسيّاً من الفكر الإنساني. وعندما أخذت نارُ الحبّ تكوي قلبه، تذكّر الفيلسوف الكبير المبحر في ميتافيزيقا الوجود والزمن، قصيدةَ الشاعر الألماني الكبير فريديريك شيلّر التي يقول فيها :

في واد، عند رُعاة فقراء
كانت تظهر كلّ رأس سنة
حالما تطير القبّرات الأولى
فتاةٌ فاتنةُ الجمال

هي لم تولد في الوادي
ولم يكن أحدٌ يعرف من أين أتت
وكانت آثارها تختفي



حالما تودّع
كانت رائعة المعشر
وكانت كلّ القلوب تنفتحُ لها
مع ذلك كانت عظمتُها ومجدُها
يُبعدان كلّ ألْفة

كانت تأتي بالزّهور وبالفواكه
التي نضجتْ في أماكن أخرى
وتحت شمس أخرى
في طبيعة أكثر سعَادة

كانت تقتسم هبَاتها مع كلّ واحد
مع هذا الفواكه، مع ذاك الزهور
المراهق والشيخ ذو العكّاز
وكلّ واحد كان يعود إلى بيته ومعه هديّة

كلّ الضّيوف كانوا يكرَّمون
عندئذ اقترب عاشقان
فقدّمت لهما أجملَ هديّة
وكانت الهديّة أجملَ الزّهور

في مطلع عام 1925، تلقّت هانّا آراندت رسالة من مارتن هايدغر، كتب يقول فيها :

«العزيزة آراندت : عليّ أن آتي هذا المساء مرّة أخرى بالقرب منك لأخاطب قلبك. عليك أن تكوني بسيطة، وصافية. عندئذ فقط سيكون لنا الشرف بأن نلتقي. أن تكوني تلميذتي، وأنا أستاذك، فإنّ هذا لم يكن غير فرصة سعيدة لما حدث بيننا. أبداً لن أسمح لنفسي بأن تكوني لي وحدي، غير أنك لن تخرجي من حياتي التي أدْخلتِ فيها حيويّة غير معهودة».



وفي رسالة أخرى بعث بها في نفس العام، كتب هايدغر يقول :

«العزيزة هانّا : لماذا لا يمكن مقارنة الحبّ بالاحتفالات الأخرى التي تُوهَب للكائن البشري ؟ ولماذا هو حِملٌ لذيذ على من يصابون به ؟ هل لأننا نصبح مَنْ نحبّ من دون أن نتحوّل ونصبح كائناً آخر..».

وعادة ما كان اللقاء يتمّ بين العشيقين خلال سهرات تخصّص لمناقشة قضايا فلسفيّة. ومرّة دعَا هايدغر إدموند هوسرل، رائد الفينيمونولوجيا، ومبتكرها إلى بيته. وكان النقاش ساخناً بين الفيلسوفين الكبيرين أثناء السّهرة. كلّ واحد منهما كان يبْذُل أقصى جهده لإثبات نفوذه وصواب آرائه. ومنذ البداية انحازت الفيلسوفة الشابّة إلى عشيقها، منتصرة لأفكاره. وفي رسالة بعثت بها إليه، كتبت تقول : «وأنا أستمع إليك تجادل هوسّرل، الْتهب جسدي حبّاً لك...لقد كنت رائعاً».

وفي إحدى رسائله المُلْتَهبة بالحب، كتب هايدغر في العاشر من شهر جانفي - يناير 1926 إلى هانّا آراندت يقول :

عزيزتي هانا

السهرة التي استمتعتُ بها كثيراً، وحتى قبل أن تتحقّقَ، ثم رسائلك لكي تتوّجَ كلّ هذا. يمكنني أن أفهم، إلاّ أنّ الحَمْلَ لن يكون أقلّ ثقلاً رغم ذلك. ثم أنني أجد نفسي في موقع جيّد لكي أعرف ما يتطلّبه حبّي. أن تكوني قد مضيت إلى الأقصى حتى أنك أوشكت أن تفْقدي الإيمان بنا، فإن هذا لن ينحرف بأيّ حال من الأحوال عن الوفاء الأشدّ قوة، والذي ترغب المثاليّة الرومانسيّة في الاعتقاد فيه. أناَ لم أنْسَكِ بسبب لامبالاة، أو لأن ظروفاً خارجيّة تدخّلت، وإنما لأنه كان لا بدّ أن أنساك، وسوف أنساك أحياناً عندما يبلغ عملي مرحلة التركيز القصوى. فالأمر لا يتعلق بأيّام، أو بساعات، وإنما لأن هناك سيرورة يتطلب إعدادها أسابيع، وربما أشهراً، لكي تنتفي في النهاية. أن تُتخذ مثل هذه المسافة، وأن يتمّ الإنصراف عن العلاقات التي عقدت، هذا ما أنا أعلمه عن الشكل الأكثر عظمة في مجال التجارب الإنسانية، في ما يتعلق بالخلق والابتكار، وهو بمعيار أخذنا للحالات الموضوعية بعين الإعتبار، اللعنة الأكبر التي يمكن أن تصيبنا. إنه اقتلاع، وقد يحدث ألاّ نخرج منه أحياء. والأمر الأشد عُسْراً هو أنه لا



يمكننا أن نبحث عن أعذار لهذه العزلة، كأن تتمّ الإشارة إلى الجهد الذي يتطلبه العمل الذي نحن نقوم به لأنه ليس هناك معايير لكل هذا، ثم أنه ليس باستطاعتنا أن نجد له مقياساً عاماً في الشؤون الإنسانية. كل هذا حمْل ثقيل يتوجب علينا تحمله، وفوق ذلك بطريقة لاتسمح لنا بالبوح به حتى إلى أقرب الناس إلينا. مُلتوياً تحت ثقل هذه العزلة الضرورية، أترجى في كلّ مرة الحصول على عزلة كاملة، بطريقة لا تتيح لي العودة إلاّ لأكون بين صفوة الرجال، ولتمدّني بالإرادة والقوة في أن أبتعد عنهم نهائيّاً. فعلى هذه الصورة فقط، هم يظلون في مأمن من التضحيات التي يتوجب عليهم القيام بها، وأن يتجنبوا الرفض من قبل الآخرين. إلاّ أن هذا الرجاء المُعَذّب ليس فقط مستحيل التحقيق، وإنما هو يُنْسَى في نفس اللحظة التي تشرع فيها العلاقات الإنسانية في تغذيتنا، وفي مدّنا بالطاقة اللازمة لنغرق في العزلة من جديد. وما هو عزيز عليك يجد نفسه معرَّضاً للهشاشة ولضربات قاسية. وحياة كهذه لا تتوقّفُ أبداً عن فرض متطلّبَاتها، من دون أن تكون قادرة على بسط شرعيتها. أن يتخلّصَ الإنسان بشكل إيجابيّ من وضع كهذا الوضع، ومن دون أن يفرّ من هذا المُنْحَدر على حساب المُنحدر الآخر، ذاك هو معنى الوجود بالنسبة للفيلسوف. وما أنا أسوقه هنا لا يمكن أن يُشكّل عُذْراً بأيّ حال من الأحوال. لكنني أعلم حين أتحدث بهذه الطريقة، أنني سأشدّك إليّ أكثر لأنك قادرة على أن تَنْصُتي إلى ما يمكن أن يَدعَمَ صداقتنا لكي تمضي إلى أقصى حدودها. يكفي فقط أن نجعل معناها وضروريتَها أشدّ إلحاحاً. أن نتكلم عن «تراجيدي» في أوضاع كهذه الأوضاع، لا يعني شيئا آخر سوى الغرغرة بالكلمات من أن نأخذ بعين الاعتبار الوعي الإيجابي الذي يوجد في حياتنا، وحيث القطيعة ممكنة ومتحققة مثل ذاك الذي يمنحها القوة في نهاية المطاف. أن أغضّ الطرف عن كل هذا، وأن أمرّ عليه في صمت لأؤكد لك أن الأمر خطأ من جانبي، هذا لا يمكن أن يكون سوى قناع لحجْب واقع الحال. وإذا ما قلت لك إن كلّ نشاط خارجي أصبح يزعجني كثيراً، فإني أكون قد عبّرت عن رغبة في رفع طلب للتمتع بـ«عطلة» لن تقبل أية وزارة بمنحي إياها، لكني أقول لك بإن اقتلاع أنفسنا من أنفسنا هو بمثابة الغنيمة. وأمس كان كلّ شيء سابحاً في رمزية تكاد تكون مقلقة ومحيّرة لما وصفتني بـ«القرصان». وقد تقبلتُ ذلك بابتسامه - لأني أحسستُ في داخلي مع «خوف وارتعاشة» بعبور الرياح الباردة والعواصف التي



يتعرض لها من يطوفون في البحار. وعندما تروين لي طرائفَ عن حكايات ساخرة ومضحكة عن «الفلاسفة»، فإني أجد ذلك مُسَليّاً، ومُبهجاً للنفس، وسيكون من الغباء والحمق إدانة مثل هذه الأشياء، والنفور منها، وربما تجريمها، لكنها عندما تكون المُبْتَغَى الوحيد للعقول الشابة، وليس مواصلة الدراسة وإنهائها، فإني أعتقد أن أفقاً كهذا لن يكون مبهجاً بالنسبة للأجيال الجديدة (...). السهرة التي أمضيناها معاً، ورسائلك تقوّي الاعتقاد عندي بأن كلّ شيء على ما يرام، وأنه سيكون كذلك مستقبلاً. وإذا ما فرض النسيان عليّ نفسه، فإنه يتوجب عليك أنت أن تتمتعي بالوضع التي أنت فيه كما لم يمكن أن يفعله سوى قلب فتيّ، واثق من انتظاراته، وصلب في إيمانه بعالم جديد مُفْعَم بالطموحات والوعود، وحيث عليه أن يتعلم، وأن يكبر كما يحلو له. فلْيظلّ كلّ واحد منا في مستوى وجود الآخر، وفي مستوى حرية الإيمان، والضرورة الحميمة لثقة لا تتزعزع. فعلى هذه القاعدة الصلبة ينهض حبّنا ويتأكد.

تتواصل حياتي بنفس الوتيرة، من دون أيّ تدخّل من جانبي، ومن دون أن أحصل على أيّ استحقاق... وهو يتواصل بأمان مقلق حتى أنني أريد أن أقنع نفسي بأن الفراغ الذي ستخلفه مغادرتك سيكون ضرورياً. العزلة تزداد اتساعاً في أفق عملي، والرجاء الذي عبّر عنه هوسرل في أن نوفر أوقاتاً أطول للقاءاتنا : كل هذه العوامل مهما كانت الاختلافات بينها، تمهّد لي الطرق لكي أنطلق باتجاه أعمال ومشاريع جديدة. وإذن ستعود أيام العزلة الباردة حيث كيانك متخبّطاً في القضايا والمشاكل، يرى نفسه مُنْدفعاً إلى الأمام بحماس لا يقهر مثل الضرورة التي تفرضُ نفسَها. وبين وقت وآخر، سيجد كلّ هذا صدى في قلبك إذا ما أنت حافظت على صلابة عقيدتك، وعلى الخلاص وطلب الوحدة لكي تنعمي به وتكوني وفيّة».

في شهر مارس – آذار 1925، انطلقت هانّا آراندت إلى «كوينسبارغ»، البلدة التي عاش فيها الفيلسوف الشهير عمانويل كانط، فكتب لها هايدغر رسالة فيها يقول : «عندما تشتدّ العاصفة حول بيتي الخشبي، أفكّر في العاصفة التي اندلعت بيننا. كما أتذكّر الجولات الجميلة حيث كانت ضفاف نهر «لاهن» تقود خطواتنا، إلاّ إذا ما فاجأتني لحظة إستراحة وأنا مستغرق في حلم كاف لكي يذكّرني بالفتاة المرتدية معطفاً مطريّاً، وقبّعتها نازلة على عينيها مُبرزة



نظرتها المفعمة بالطمأنينة، الفتاة التي اجتازت عتبة مكتبي للمرّة الأولى، مُقدمة أجوبة مقتّرة، موسومة بالعفّة والتّحفّظ على الأسئلة التي طرحت عليها»... عند صعود النازيين الى السلطة عام 1933، عيّن مارتن هايدغر عميداً لجامعة فرايبورغ. أمّا هانّا آراندت فقد هاجرت الى الولايات المتحدة الأمريكية بعد ان أمضت فترة من الزّمن في باريس. وبعد انتهاء الحرب الكونيّة الثانية، أتّهم هايدغر بـ«التّعاون مع النازيّة» غير أن هانّا آراندت أنصفته، وكتبت له العديد من الرسائل معبّرة له فيها عن تضامنها الكامل معه. وعندما بلغ هايدغر سنّ الثمانين، وكان ذلك عام 1969، وصفته هانّا آراندت بـ«ملِك الفلسفة»، مشيرة إلى أنّ فلسفته «غيّرت المشهد الفكريّ في القرن العشرين»، و«أطاحت بصرح الميتافيزيقا الذي كان قائم الذّات»، و«كانت بمثابة العاصفة التي أثارتها فلسفة أفلاطون». وأضافت هانّا آراندت قائلة : «إنّ فلسفة هايدغر لا جذور لها في القرن العَشرين... إنها قادمة من زمن سحيق. وما تتركه وراءها إنجاز. وهو يعود بنا مثل كلّ إنجاز كبير وعريق، إلى الماضي البعيد».




مكتبة
الفكر الجديد


مكتبة
الفكر الجديد

فهرس




مكتبة
الفكر الجديد

صدر
ضمن سلسلة المعرفة الفلسفية

محمد أندلسي
نيتشه وسياسة الفلسفة
208 صفحة، ط.2، 2016

ويلارد فان أورمان كواين
من وجهة نظر منطقية
تسع مقالات منطقية وفلسفية
ترجمة : يوسف تيبس
232 صفحة، 2010

محمد أيت حنا
الرغبة والفلسفة
مدخل إلى قراءة دلوز وغوتاري
112 صفحة، 2011

مكتباتهم
144 صفحة، 2016

موريس بلانشو
أسئلة الكتابة
ترجمة : نعيمة بنعبد العالي
وعبد السلام بنعبد العالي
88 صفحة ، 2004

نجيب بلدي
دروس في تاريخ الفلسفة (نفد)
أعدها للنشر : الطاهر وعزيز وكمال عبد اللطيف
128 صفحة، ط.2، 2004

عبد السلام بنعبد العالي
أسس الفكر الفلسفي المعاصر (نفد)
مجاوزة الميتافيزيقا
176 صفحة، ط.2، 2000

أشياء سبق الحديث عنها
144 صفحة، 2014

امتداح اللافلسفة
120 صفحة، 2010

بين الاتصال والانفصال
في الفكر الفلسفي المغربي
128 صفحة، 2002

بين - بين
108 صفحة، 1996
الثمن : 42,00 درهما

البوب - فلسفة
160 صفحة، 2015

التاريخانية والتحديث
دراسات في أعمال عبد الله العروي
64 صفحة، 2010

التراث والهوية
في الفكر الفلسفي في المغرب (نفد)
88 صفحة، 1987

ثقافة الأذن وثقافة العين
136 صفحة، ط2، 2008

حركة الكتابة
96 صفحة، 2012
الثمن : 36,00 درهما

حوار مع الفكر الفرنسي
128 صفحة، 2008

سياسة التراث
دراسات في أعمال لمحمد عابد الجابري
80 صفحة، 2011

سيميولوجيا الحياة اليومية
144 صفحة، 2016



الفلسفة أداة للحوار
88 صفحة، 2011

ضيافة الغريب
طبعة عربية – فرنسية
ترجمة : كمال التومي
208 صفحة، 2015

الفلسفة فنا للعيش
144 صفحة، 2012

في الإنفصال
88 صفحة، 2007

في الترجمة (نفد)
طبعة عربية – فرنسية
ترجمة : كمال التومي
176 صفحة، 2007

الكتابة بيدين
104 صفحة، 2009

لعقلانية ساخرة
88 صفحة، 2004

ميتولوجيا الواقع (نفد)
128 صفحة، 1999

عبد السلام بنعبد العالي وسالم يفوت
درس الإبيستيمولوجيا (نفد)
216 صفحة، ط 3، 2001

عبد السلام بن ميس
السببية
في الفيزياء الكلاسيكية والنسبانية
152 صفحة، 1994

جان بودريار
الفكر الجذري (نفد)
أطروحة موت الواقع
ترجمة : منير الحجوجي وأحمد القصوار
97 صفحة، 2006

محمد عزيز الحبابي
ورقات عن فلسفات إسلامية (نفد)
176 صفحة، 1988

عادل حدجامي
فلسفة جيل دولوز
عن الوجود والاختلاف
272 صفحة، 2012

جاك دريدا
الكتابة والاختلاف(نفد)
ترجمة : كاظم جهاد
248 صفحة، ط 2، 2000

لغات وتفكيكات في الثقافة العربية
لقاء الرباط مع جاك دريدا
ترجمة : عبد الكبير الشرقاوي
232 صفحة، 1998

المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة
ترجمة : حسن العمراني
88 صفحة، 2005

مواقع
ترجمة : فريد الزاهي
92 صفحة، 1992

جاك دريدا وجياني ڤاتيمو
الدين في عالمنا
ترجمة : محمد الهلالي وحسن العمراني
200 صفحة، 2004

جيل دولوز
سبينوزا فلسفة عملية
ترجمة : عادل حدجامي
160 صفحة، 2015

كريستينا دانكون
بيت الحكمة
الميتافيزيقا اليونانية وتشكيل الفلسفة العربية
ترجمة : عصام مرجاني
184 صفحة، 2014

بول ريكور
الانتقاد والاعتقاد
ترجمة : حسن العمراني
120 صفحة، 2011



نور الدين الزاهي
المقدس الإسلامي
112 صفحة، 2005
محمد سبيلا
الحداثة ومابعد الحداثة (نفد)
112 صفحة، ط.2، 2007

زمن العولمة
فيما وراء دوائر الوهم (نفد)
112 صفحة، 2006

في تحولات المجتمع المغربي
152 صفحة، 2010

محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي،
مصطفى لعريصة
في التأسيس الفلسفي لحقوق الإنسان
نصوص مختارة
264 صفحة، 2013

آلان شالمز
نظريات العلم
ترجمة : الحسين سحبان وفؤاد الصفا
176 صفحة، 1991

جمال الدين العلوي
المتن الرشدي
مدخل لقراءة جديدة
248 صفحة، 1986

أبو نصر الفارابي
كتاب الواحد والوحدة
تحقيق د. محسن مهدي
104 صفحة، 1990

مجموعة من الباحثين
الفلسفة على نحو مغاير
تقديم لأعمال عبد السلام بنعبد العالي
تنسيق : عبد الجليل ناظم
112 صفحة، 2015

محمد مرسلي
دور المنطق العربي في تطوير المنطق المعاصر
128 صفحة، 2004

محمد المصباحي
مع ابن رشد
184 صفحة، 2007

إدغار موران
ثقافة أوربا وبربريتها
ترجمة : محمد الهلالي
64 صفحة، 2007

الفكر والمستقبل،
مدخل إلى الفكر المركب (نفد)
ترجمة : منير الحجوجي وأحمد القصوار
120 صفحة ، 2004

ميشيل فوكو
جينيالوجيا المعرفة (نفد)
ترجمة : أحمد السطاتي وعبد السلام بنعبد العالي
120 صفحة، ط.2، 2008

دروس ميشل فوكو (نفد)
ترجمة : محمد ميلاد
96 صفحة، 1994

عزيز لزرق
العولمة ونفي المدينة
152 صفحة، 2002

محمد هاشمي
جون رولز والتراث الليبرالي
360 صفحة، 2015

نظرية العدالة عند جون رولز
نحو تعاقد اجتماعي مغاير
340 صفحة، 2014

محمد وقيدي
حوار فلسفي (نفد)
196 صفحة، 1985

سالم يفوت
إيبستيمولوجيا العلم الحديث (نفد)
144 صفحة، 2008





مطبعة ومكتبة الأمنية ش.م.م
IMPRIMERIE LIBRAIRIE OMNIA s.a.r.l

ذات مرة، وأنا في ميونيخ حيث كنت أقيم، وقع بين يدي نصّ يتحدث فيه هايدغر عن أسباب رفضه الإقامة في المدن الكبيرة، مفضلاً العيش في عزلة في كوخ خشبي في قلب «الغابة السوداء» التي تجسد في نظره الروحَ الجوهريةَ لوجوده ولموطنه. ويتحدث في نص آخر عن الجولات التي يقوم بها في المسالك الريفية، وسط المروج والحقول، مفكّراً ومتأملاً، مشيراً إلى أن عمله كفيلسوف لا يختلف كثيراً عن عمل المزارع في حرث الأرض، أو في زرعها. بعدها قرأت النصوص التي خصّصَها هايدغر لشعراء كبار من أمثال هولدرلين، ريلكه، وغيورغ تراكل. وقد ساعدتني هذه النصوص على إدراك البعض من ملامح هايدغر وفلسفته الوجودية. كما أضاءت لي النصوص التي كتبها عنه هابرماس، وهانا آراندت، وغي باسيت جوانب أخرى تتناول صلة هايدغر بالنازية، ومفهومه للشعر، وعلاقته بفلاسفة الإغريق. أما الحوار الذي أجرته معه مجلة دير شبيغل، وبطلب منه، فلم ينشر إلاّ بعد وفاته. لم يقتصر هايدغر في هذا الحوار على توضيح مواقفه بشأن النازية، وإنما تعدى ذلك ليشمل ما يعيشه عالمنا من مخاطر ومخاوف في عصر هيمنة التقنية وسيطرتها على مفاصل حياتنا اليومية...

لذا ارتأيت جمع وترجمة هذه النصوص، بالإضافة إلى مختارات من الرسائل، لعل ذلك يساعد أحباء الفلسفة في عالمنا العربي على الاقتراب أكثر من صاحب الكينونة والزمن.

مارتن هايدغر فيلسوف ألماني 26 سبتمبر 1889 - 26 مايو 1976، ولد جنوب ألمانيا، درس في جامعة فرايبورغ، ثم أصبح أستاذاً فيها عام 1928. وجه اهتمامه الفلسفي إلى مشكلات الوجود والتقنية والحرية والحقيقة وغيرها من المسائل.



الثمن 48 درهما